

مختارات إسلامية

من  
البيعة إلى الدولة

٦٢٢ - ٦١٠ م

عبدالصادر الفضلي

كتارات اسمر بيز

---

٢

# من البهنة إلى المدورة

٦١٠ - ٦٢٢ م

عبدالصباري الفضلي

---

طبعة النهان - في النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد منَ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً  
من أهلهـم ينلو عليهم آياته ويزكـهم ويعلمـهم  
الكتـاب والحكـمة وإن كانوا هـن قبلـ في

ضلـالـ بينـ

## مقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو الكتاب الثاني من (مخترارات إسلامية) التي  
عزمنا بعون الله تعالى على الاستمرار في اصدارها ،  
بحدودنا الأمل ، في أثر نوافق بها إلى الاسهام في نشر  
الثقافة الاسلامية ، والوعي الاصلاحي بين أبناء امتنا الاعزاء  
وقد سرنا ، وشجعنا كثيراً ما استقبل به الكتاب الأول  
ـ من قبل القراء الكرام ـ مما دلّ بصورة واضحة ، على أن  
المسلم بدأ يدرك ـ ان في اسلامه الحياة السعيدة التي يطمح  
إليها ، ويسعى في سبيلها .

«يا أيها الذين آمنوا استجيبوا الله ولرسول إذا دعكم  
لما يحبونك» . (١)

ونحن نعاهدـ قراءنا الكرام ـ على أن نقدم لهم ضمن

---

(١) الانفال آية ٢٤

هذه الكتب الصغيرة التي لا تكلفهم في الوقت ولا في الثمن  
ـ غذاء فكري ياصالحاً ـ لكتاب عرفا بالنزاهة والاخلاص  
في مجال الدعوة الاسلامية وفي هذا الكتاب يقدم لنا  
الكاتب تاريخاً موجزاً للدعوة الاسلامية ، خلال فترة  
التي أشار إليها العنوان ( من البعثة الى الدولة ) وهي فترة  
من الضروري للمسلم الواي ، أن يتعرف بها ويلم بها ليهيد من  
نحار بها ، ويستلهم من أرواح دعاتها ، العزيمة والقوة .  
ولقد كانت من الكتاب التفاتة موقفة حين أحبب عما قد  
يحصل من تساؤل بعده قراءة ـ تاريخ الدعوة ـ ما إذا كان علينا  
أن نلزم نفس الطريقة التي سار عليها النبي ﷺ أم لا .  
فقد أوضح الكتاب من ناحية فقهية ، الجواب على  
هذه المسألة ، ونرجو من الله سبحانه أن يفيد بها ، وهو

ولي التوفيق

المشرفون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الرَّبِّينَ اصطفى

\* \* \*

الدعوة الإسلامية ينبع عن المطاء ، يفتح مفاصيل  
التفكير على أنواع من الوسائل ، وعلى وسائل من الأساليب ،  
تتميز بالاستقامة والاتزان واليقظة .. وينبع العاطفة ببطاقات  
التأثير المتوجة إلى الدفع نحو العمل والتضحية في سبيل  
الإنسانية ومن أجل حقوقها وكرامتها .. ويضع يد المجاهد  
على قدميه الأمل من أخلص النية للحق .. ويريه عظمة  
الإيمان بوعده الله - تعالى - بالفوز والنصرة في مفعوله  
ونتائجها .. وينشر إمامه آفاق الحياة بمختلف أجواءها وشوونها  
قريبة المنال وطبيعة القيادات .. ويشعره لذادة الجهد دون المبدأ

— ٥ —

ويحسه نشوء انتصار الانسان المكرامة .. وينذيه روحانية  
المغاضل عن الانسانية ومن أجل خيرها .

كل اولئك نلمسه حينما نعيش بعقولنا وعواطفنا الجواه  
الدعوة الاسلامية بوعي واحساس ، فيتجسد قائدتها  
الاعلى محمد ﷺ في كياننا ، يختلف مجالاته ، وبخاصة  
آفاق الدعوة وميادينها .

وفي عقidi : ان هذا الملون من الاحساس بالدعوة  
الاسلامية ، وان هذا النوع من النظرة اليها لا يتضمن الا  
المذين يدخلون تاريخها المشرق بذهنية الدعاة المجاهدين ،  
وبروحية المسامعين المؤمنين ، ووعي من يدرى كرامة  
الانسان ، ويتفهم مسؤولية الحياة .

وهو شيء قد لا نراه يعيش حبائنا العامة حينما يقرأ  
تارikh الدعوة الاسلامية المقدسة ، وحيثما يتلى في المناسبات  
الموسيقية المختلفة ، لاننا لم نعد في ذهنينا العامة نحمل  
القاعدة الفحقرية الاسلامية ، نتيجة اننا نعيش الاطار

الاجتماعي المعاصر، الذي يحتوي في أكثر جوانبه وخصائصه،  
الحضارة اللاislamية.

أما في الذهنية الخاصة - وأقصد بها ذهنية الدعاء  
المسلمين - فالوعي الإسلامي يقطع (الآن) أدوار نعوه  
ونكامله، ليشق طريقه إلى دور النضج، وذلك حينما يتکامل  
ويشم في إطاره السياسي فكريًا وعاطفيًا . . ولأجله عادت  
دراسة تاريخ الدعوة الإسلامية ضرورة ملحة، تتطلبها طبيعة  
واقع الإسلامي الناهض ، لاستئثار عطائها : في الأفادة من  
تأثيرها النفسي والعاطفي ، وفي التعرف على وسائلها وأساليبها  
وفي استعماله روحاً منها . .

وفي رأيي : أن على الداعية الإسلامي أن يرتبط دائمًا  
بالدعوة الإسلامية ، يستمد من روحانيتها ، ويتفندي  
بعطياتها ، ويسترشد هديها .

\* \* \*

وهنا أود أن أشير إلى الرأي حول الالتزام بالأسلوب

## الدعوة الاسلامية الأولى ( سيرة الرسول الأعظم ﷺ في دعوته )

تذهب بعض الدعوات الى عدم وجوب الالتزام بأسلوب الدعوة الاسلامية الأولى ، بينما يذهب بعض آخر الى وجوب الالتزام بأسلوب الدعوة الاسلامية الأولى (١) .

والذي يستفاد من الآية الكريمة الواردة في موضوع الدعوة الى الاسلام ، امثال : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بما هي أحسن » (٢) . « وأدع إلى ربك انك لملي هدى مستقيم » (٣) . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا البرّ » الوسيلة

---

(١) يقرأ : مفاهيم حزب التحرير ( بغداد مطبعة

التفيض ١٣٧٣ ) الطبيعة الثالثة ص ٦٦ ، ٦٧

(٢) الآية ١٢٥ من سورة النحل .

(٣) الآية ٦٧ من سورة الحج .

وجاهدوا في سبيل الله لعما كنتم تفاحرون » (١) .

« وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أئمكم ابراهيم هو سماكم السليمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتنكونوا شهداء على الناس » (٢) .

« انفروا اخفافاً وثقلاء واجهدوا باموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (٣) .  
هو وجوب الدعوة الى الاسلام ، والالتزام بالعمل من أجل ذلك دائماً ، وببذل أقصى درجات الجهد ، وأبلغ حدود الطاقة فكريه وعملية ، في الخادز أكثر الطرق نجاحاً وأوصل الاساليب الى تحقيق الهدف ، شريطة إلا التناقض مع سائر الأحكام الاسلامية الثابتة .

---

(١) الآية ٣٥ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٧٨ من سورة الحجج .

(٣) الآية ٤٤ من سورة التوبه .

ووضع هذه القاعدة الشرعية بهذا الشكل العام ، وبهذه  
اللغة الرائمة المطلقة والمحردة عن أي تفصيل ، وعن تعين  
أي أسلوب أو أية طريقة ، فلا جل أن تكون قاعدة عامة  
تنطبق على كل زمان ومكان ، فتواكب الاجيال وتساير  
الصور .. لأن تحديد الاماليب وتعين الوسائل مما تفرضها  
ـ في الواقع ـ طبيعة ومتغيرات الظروف الزمنية والاجتماعية  
للدعوة أية دعوة .

ومنيرة الرسول الاعظم عليه السلام في الدعوة ـ على ضوء  
الحكم المعنفاذ من تلکم الآيات المباركة ـ ليست سوى  
مثل أعلى لامثال الحكم الشرعي في اسلوب الدعوة ولن يستد  
حکماً زاماً لا يحتج عنه ، لأن العمل وحده (عمل النبي أو  
المصوم) لا يدل على الوجوب وإنما يعينه متى اقترن بمنص  
لفظي يدل عليه .

وعلى ضوء هذا الاستنتاج: فالقاعدة ـ إذن ـ تبقى هي

## القاعدة الأولى .

وربما يقال لأسباب قد لا تكون مبررة أمام الواقع المعاش:  
علينا أن نحافظ على أساليبنا الفدائية ، ولا بد من ذلك .

ولكن من أين نختتم هذه الابداية ؟

ومن الذي فررها ؟

هل هنالك شيء ، وراء طبيعة الظروف ؟ ..

إن طبيعة الظروف الراهنة تحتم علينا - نحن المسلمين  
وبخاصة الدعاة منها - افتتاح كل مجال ، واتخاذ أي أسلوب  
يرتديها الإسلام ، واتهار كل مناسبة معطاء (١) .

\* \* \*

وبعد : رأيت أن أدون في آخر هذا المدخل للحديث

---

(١) يقرأ : عبد الهادي الفضلي ، أسلوب الدعوة  
إلى الإسلام ، الأصوات ، السنة الأولى ( النجف : مطبعة النهان ) .

١٣٧٩ - ١٣٨٠ ) ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

عن الدعوة الإسلامية المقدمة بعض الملاحظات أو المخواطر  
العاشرة حول تاريخها المدون في حدود ما قرأت منه :

لم تُورِّج كتب السيرة - وبخاصة الفديعة منها - لكن  
حوادث الدعوة الإسلامية في مختلف مجالاتها وأدوارها  
تُأْرِيَخَاً يجمع شتى صورها ويستوعب جميع تفاصيلاتها ،  
ويستعرض كل جوانب الحادثة الواحدة . ويربط بين الحادثة  
والآخرى في الأسباب والنتائج ، ويسلاسل بين الحوادث  
في واقعها من الزمن والاعوام ، كشأن مانامسه في بعض  
التاريخ الحديث . . . وربما كان المؤرخون القدماء يمدون  
في ذلك بحكم طبيعة تطور الدراسات التاريخية ، ولا سيما  
وهم نتاج بيدئات لها خصائصها والوان نشاطاتها المحدودة .  
وظاهرة ثانية تلمسها في تاريخ السيرة هي عنایته بالجانب  
المجاهدي ( العسكري أو الحربي ) من حياة الدعوة الإسلامية  
أكثر من عنایته بالجوانب الأخرى ولعل طبيعة حياة  
العرب حينذاك تبرر طغيان هذه الظاهرة .

و ظاهرة ثالثة نراها في تاريخ المسيرة أيضا هي أثر شخصية المؤرخ والمعادل التي صاغتها وال المجال الذي دون فيه وقائع المسيرة، والمعادل الذي من وراء فعله . . أثر كل أولئك وتأثيره في محتوى العرض وفي اسلوبه .

وغيرها من الظواهر الاخر . . ما يوقف الباحث امام مبادرات ومتفرقات بمحاول أن يلم شتانها ، وأن يوفق بينها ان ساعده التوفيق ، وأمام مفارقات ونقاوص يحاول أن يبحصها نقداً وأن يقيسها منطقياً في اطار منهجه في البحث وبالآخرة امام نتائج تاريخية لا تحيط بها الحادنة مستقلة ، بجهد في التعرف عليها وفي استنتاجها في ضوء مجموعة الموارد كل ، وفي اطار ظروفها وملابساتها .

\* \* \*

من واقع تاريخنا الاسلامي هذا ، سأعرض بشيء من الإيجاز مراحل وأدوار الدعوة الاسلامية التي قطعتها او مررت

بها خلال الفترة ، منبعثة الى الدولة أي مدة ثلاثة عشر  
عاماً تقريباً .. وأنا أعلم أنه عرض مقتضب خاطف ، ومبرر  
ما قدمته قبل قليل ، إلا أنه في واقعه المروض يرسم صورة  
مصغرّة لتاريخ الدعوة في تلكم الفترة ، وأظنهما تحمل الكثير  
أو الـ ٤٠ من عوامل تاريخ الدعوة آنذاك .

# مراحل وأدوار الدعوة الإسلامية

أن الخصيصة التي استثنى تها وفق منهجه في البحث :  
هي أن الدعوة الإسلامية صرت خلال الفترة المذكورة  
بمرحلتين : سرية وعلنية ، وعشرة أدوار ، اثنتان منها صرت  
بها في مرحلةها السرية ، وثمانية في الثانية . . .  
وتفصيل ذلك :

المرحلة السوية

براءة المعرفة

كان بيده نزول الوحي على النبي (ص) حينما كان يتبعه في (غار حراء) (١) في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك سنة (٦١٠ م) بالقرآن الكريم ، يحمله مسؤولية تبلغ رسالة الله تعالى إلى البشرية كافة ، وكان أول ما هبط به الوحي من القرآن الكريم الآي التالية :

(١) غار حراء : « هو كهف صغير بامالي جبل حراء ، في الشمال الشرقي من مكة ، على نحو ثلاثة أميال ، في مكان منقطع عن العمران ، خال من النبات والزرع ، يمشي السائر إليه نحو ساعتين ، ويصعد ، نحو ساعة ، حتى إذا -

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ،  
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ، أَفْرَأَ أَوْرَبِّكَ الْأَكْرَمَ، الَّذِي  
عَلِمَ بِالْقَلْمَنْ . عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَالِمْ يَعْلَمْ»

وقد كانت هذه الآيات السامية افتتاحاً لكتابي وحقيقة

— وصل إليه وجده كثراً موحشًا رهيباً ، يزيد في وحشته  
ظلامة الشديد ، وبعده الثاني ، وعزاته عن الناس ، ووعورة  
الطريق إليه ، إذ هو يقع على مقربة من القمة ؛ خاف  
صخرتين عظيمتين تقومان عند مدخله ، لا يخلص الداخل  
منهما — منها كان نحيفاً — إلا بعد مشقة وجهد ، أشد ما يدهما  
من تقارب واتصال ، فإذا خططاها وجد الفار من وراءها  
داخلاً في الجبل ، محجوباً عن كل ماحوله بالدخور الضخمة ،  
ووجهه أشد من كل ما في الجبل عزلة ورهبة ، يسوده الظلمام  
ال الحالك ، ولا يتسع لأكثر من شخص واحد ، ينام فيه نوماً  
جاءياً خشننا » ص ١١٨ و ١١٩ صور من حياة الرسول

الإنسانية عام الالتفاء في جحيم مقوّماتها وخصائصها الرئيسية:  
الفكر ، العلم ، الوحدة الإنسانية الشاملة ، والمرتبطة باصرة  
الاخوة الإنسانية ، وبانصلة بأقوى وأقدر وأفخر قوة  
في الوجود وهو الله تعالى .

افتتاحاً رائعاً يلعن الإنسان في أول لحظة من الدعوة  
واقمه الإنساني ويضع يده على نقطة الانطلاق إلى الخبر  
والسمو والغرة ، وبأول كلمة في دستور الدعوة . . (اقرأ)  
فـ « لم تكن ( قاتل ) ولم تكن ( أغتن ) ولم تكن ( سيدطر )  
لأن الإسلام ليس دين قتال ، ولا دين مال ، ولا دين مسيطرة  
وسلطان ، ولكن الإسلام دين العلم والفكر والمهدى .  
(اقرأ) لا باسم مالك ولا أمير ، ولا باسم حزب ، ولا  
باسم شعب ، بل ( باسم ربك ) ربك ( الذي خلق ) ، لم يقل  
الذي خلق فريشاً ، ولا الذي خلق العرب ، بل الذي خلق

الخلق جمِيعاً لأن دعوة محمد (ص) إلى الخلق جمِيعاً<sup>(١)</sup>

### ١ - نَهْيَةُ قُرْبَى الرَّعْوَةِ :

غادر النبي (ص) غار حراء يحمل رسالة الله إلى الإنسان  
رسالة السماء إلى الأرض، إلى البشرية المذنبة ليرفعها من مهابي  
الشَّرور والذلة إلى قمِّ الْخَيْرِ والعزَّةِ والسدادِ.

وكان أسلوبه في البداية - مثل أسلوب أي دعوة  
تضُعُّ النجاح تضُعُّ عينيهَا - هو نَهْيَةُ واعِدادِ مقوماتِ  
الدعوه من أجل الوصول إلى الغاية ، والتي تُعد بالقوى  
الثلاث ، (الفكريَّة والماليَّة والاجتماعيَّة) ، ويعني بها : أنْ  
يكون للدعوة عناصر من أفرادها يحملون ثقافتها ومفاهيمها  
وأفكارها ، بشكل معمق ومركز ومنظم ، يمثلون الركائز  
والأسس في بنيتها وكيانها ، وأن يكون لديها الرصيد المالي

---

(١) على الطنطاوي ، من نفحات الحرم ص ١٣٩ .

الكافى لما نحتاجه فى أداء مهمتها ، وأن يكون لها سند من شخصيات اجتماعية تتمتع بمكانة مرموقة وعالية في المجتمع تستند لها وتقيمها غوايل أعدائها من المجتمع .

فـكـان السـنـد المـالـي أو الـقـوـة المـالـيـة هي زـوـج النـبـي (صـ) خـدـيجـة (عـ) إـذـ كـانـت أـوـل مـسـلـمة ، . . . وـرـبـما كانـ اختـيارـ النبي (صـ) خـدـيجـة بالـخـصـوص لـاستـعـدادـها لـالمـهمـة، وـلاـ عـدـادـ الذي أـيـاهـا هـذـه المسـؤـولـيـة قـبـل الدـعـوة .

وـكـان السـنـد الفـكـري أو الـقـوـة الفـكـرـيـة الـإـمـامـ أمـيرـ الـأـوـمنـينـ تـحـتـيـلـةـ إـذـ كـانـ أـوـل مـسـلـمـ ، وـكـانـ اـصـطـفـاءـ النـبـيـ أـيـاهـ يـفـرضـهـ عـلـيـهـ وـاقـعـ الـإـمـامـ تـحـتـيـلـةـ لـأـنـهـ نـشـأـ فـيـ كـنـفـهـ وـتـوجـيهـهـ ، مـاـ كـونـ مـنـهـ شـخـصـيـةـ ظـالـصـةـ مـنـ أـىـ رـاسـيةـ لـاـسـلـامـيـةـ تـعـرـقـلـ سـيرـ الدـعـوةـ أـوـ تـقـفـ دـوـنـ تـبـكـوـنـ شـخـصـيـتـهـ (عـ) اـسـلـامـيـةـ كـاـيـشـاـ النـبـيـ (صـ) ، . . . يـضـافـ إـلـيـهـ اـسـتـعـدادـهـ الـفـطـرـيـ الـكـامـلـ فـيـ جـمـيعـ مـوـاهـبـهـ وـفـوـاهـ .

كانا بخرجان - فيها يحدث الرواية - خارج مدينة  
مكة في الشعاب والأودية والمعطفات النائية وراء الجبال  
والآثار ، ويقضيان المدة الطويلة ، يتلقى الإمام خلالها  
ثقافة الدعوة ، ويتفنّد بروتها وروحانيتها ، ويتعرف على  
أساليبها ومناهجها وغاياتها ، حتى أعد الأعداد التام ، وهي  
البهيمة المتملّمة ل القيام بدور السند الفكري ومهمة الحجر  
الأساس والقاعدة الأولى في بناء الدعوة وكيان الدولة .

وكان السند الاجتماعي أو القوة الاجتماعية أبطال  
<sup>الكتاب</sup> عم النبي وكفالة ، إذ كان ثالث المعلمين (١) ، وكانت  
طبيعة مكانته الاجتماعية والدينية التي تتمثل في سدانة الكعبة  
وطبيعة الدعوة ، وظروفها ، تفرضان عليه أن يكون إسلامه  
ويتحقق به تحقيق هدفه والقيام بمهامه من نصرة النبي (ص)

---

(١) لي رأي في اسلام أبي طالب ثالثاً بعد خديجة  
وعلي (ع) ارجو أن اوفق انشره .

واسناد الدعوة ، لأنه متى عرفت قريش اسلامه جعلته  
في الطرف المقابل لها بما يذهب الي خسارة المعركة ،  
والاخفاق في أداء مسؤوليته .

## ٢ - خارج نطاق الثالوث المقدس :

وبعد أن أذى النبي (ص) مهمة الدور الثاني باسلام  
واعداد قوى الدعوة التي نهضت : فكرية في شخصية علي  
عليه السلام ومالية في شخصية خديجة (ع)؛ واجتماعية في شخصية  
أبي طالب (ع)، أتجه يدعوا الناس الآخرين سرًا خارج  
نطاق علي وأبيه وخديجة عليهما السلام الثالوث المقدس ، والسابق  
الاول الى الاسلام .

وتطلب نبذة البحث ان أغرض ذكرها عن مجتمع  
مكه وطبقاته آنذاك بغية التعرف على ظروف الدعوه ومدى  
ومقدار انتشارها في مرحلتها السرية :  
كان المجتمع المكي طبقياً واسعاً في طبقاته ، ومنقسم

إلى ثلاثة طبقات هي : -

- ١ - طبقة الأعالياء : وتنتألف من سادة قريش وزعمائهم وذوي الزراعة والجاه .
- ٢ - طبقة الارقاء : وتنتألف من العبيد والأماء المسترقين .
- ٣ - طبقة الأحلاف : وتنتألف من القبائل العربية المستضيفة المحالفه لقريش ومن الأفراد غير العرب الموالين لقريش .

وكانت طبقة الأعالياء تعامل الطبقتين الآخرين معاملة قاسية جانبيه ، وبخاصة طبقة الارقاء .

في صورة هذا التقسيم ، وفي صورة معرفتنا للدعوة الإسلامية في طابعها ، في مذاهجهما وغاياتهما ، وانها من ناحية عقائدية تندىء الى عقيدة التوحيد المناقضة لعقيدة الشرك وعبادة الأصنام التي اكست قريشا بصورة خاصة ، وطبقة الأعالياء بصورة عامة مكانتها الدينية والاجتماعية بين العرب ،

وبخاصة في مجتمع مكة .. وانها - اعني الدعوة - من ناحية تشربانية تدعى الى العدالة الاجتماعية وإلى المساواة في المعاملة والحقوق الإنسانية ، فعندما ( الناس سواسية كأسنان المشط .. لافضل عربي على عجمي إلا بالتقوى .. ولا الأبيض على أسود ) ، وتدعوا الى الغاء وعدم اعتبار أي فارق أو امتياز لا يقوم على أساس انساني منطقى مقبول أمثال : القبيلة والقوم واللون والمهنة وما شاكل ، والتي اعتبار التقوى والاخلاص في العقيدة والفعالية الاسلامية مقاييسا في التفاضل والنزلة الاجتماعية ( ان أكرمكم عند الله أتقاكم ) .

في ضوء هذين يكون أفراد طبقة الارقاء أكثر استجابة للدعوة فطبقة الاحلاف .

استمرت سرية الدعوة حتى سنة ( ٦١٣ م ) دخلها أئمها هذه الفترة الممتدة إلى ثلاثة سنوات أو بعورف شخصا رجلا ونسانا ، « أكثرهم من المستضعفين والفقراه

وأقلاهم من الأشراف واللادة » (١) .

وكانت تتخذ من الشعاب والأودية والآماكن البعيدة عن أنظار الناس مواضع ومحالاً لاحتياطها السرية ، يقيم فيها المدعاة صلاة لهم ، ويستلقون نقاوة الدعوة وشريعة الحق ، ويتعرفون على أساليب العمل من أجل نشر الإسلام ، حتى غير عليهم من قبيل جماعة من المشركين ، إنكرروا عليهم عملاً إسلاميًّا هذا ، وقاتلوهم ، غير أن ريح المعركة كان المسلمين فقد شيج رئيس أحد المشركين فكان أول دم و كان أول اصطدام بين المسلمين والمشركين ، مما كاد أن يؤدي بالدعوة إلى كشفها .

فانتقل الدعوة إلى دار (الارقم ابن أبي الارقم) - وهو من مدادات قريش السابعين إلى الإسلام - اختارها

---

(١) أمين دريدار ، صور من حياة الرسول « القاهرة »

دار المعارف بمصر ، ص ١٣٨ .

رسول الله (ص) مجتمعا سريا، وملتقى لهم، تجنبوا لموافق  
الصدام بينه وبين قومه . . وتقع - كما يذكر المؤرخون -  
على مقربة من (الصفا) .

وفي سنة (٦١٣ م) انتهت المرحلة السرية للدعوة  
وأبتدأت مرحلتها العلنية . .

## المرحلة العلمية

وكان أول أدوارها:

### ٣— اندار عشيرة النبي (ص)

أ— ( وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفُضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَتَبْعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصْوَكَ فَقُلْ: أَنِّي بِرِّيٌّ مَمَانَهُ مَوْنَ) (١)

بهذا النص الآمر ابتدأ دفع الدعوة وانتلاقها بشكل أوسع وأسرع باعلانها اندار (بني هاشم) رهط النبي (ص) وعشيرة وركنه الوثيق الذي يأويه ولا سيما في مجتمع مك القبلي المتأخر ، . . وسكنى البداء بهم مما تفرضه طبيعة الدعوة ومستلزماتها التواجد وتتعدد منهم السندو القوة الاجتماعية الكافية ، والتي تتماشى وظروف مرحلة العائمة .

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الشورى .

يقول المؤرخون : أو لم النبي (ص) ودعا عشيرته  
 (بني هاشم) ، وكانوا - يومذاك - نحو أربعين رجلاً ،  
 ليعرفهم خطورة موقفهم السليم من الدعوة ، وبخاصة  
 في أمثال مجتمعهم القبلي ، وقيل أنّه تكلم (ص) مادره  
 عممه (أبو هلب) ، بقوله : « هؤلاء عموتك وبنو عمك  
 فتكلّم ودع الصيّادة (١) ! وأعلم انه ليس انتم بالعرب فاطيبة  
 طيبة ، وأنا أحق من أخذك ، فحسبيك بنو ابيك ، وإن  
 أفت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أنت يتبّبك  
 بسوان قريش ، ونعدهم العرب ، فما رأيت أحداً جاء علىبني  
 أبيه بشر مما جئنتم به (٢) »  
 وكان ياتي خطبته هذه في نورة عاطفية مهاجحة ، مما

(١) الصيّادة : الخروج من دين الى دين .

(٢) محمد الغزالى ، فقه المسيرة (القاهرة) : مطابع دار

الكتاب العربي بصرى ١٣٧٣ ) الطبعة الاولى ص ٧٧ و ٧٨ .

دعا النبي (ص) ان يسكت في ذلك المجلس، فانقض الاجتماع دونها قائمة.

فأولم النبي (ص) فانية، ولكن بعد أيام، ودعاهم إلى الاسلام أيضاً فا قالا: «اَحْمَدَنَّهُ، اَحْمَدَهُ وَاسْتَعِينَهُ، وَأَوْمَنْ  
بِهِ، وَاتُورُكُلَ عَلَيْهِ»، وأشهدان لا اله الا الله وحده  
لا شريك له . . .

اما بعد: فلن الرائد لا يكذب أهله، ولو كذبت الناس  
جيعها ما كذبتم .. والله الذي لا اله الا هو، اني رسول الله  
اليكم خاصة، والى الناس عامة .. وقد أمرني الله ان ادعوكم  
الى كلذين خفيت عنهم على الانسان، ثقيلتين في الميزان: شهادة  
ان لا اله الا الله، واني رسول الله ..!

واملاه لشوتن کا تسامون، واتبععن کما تستيقظون،  
ولتحاسين بما تعملون، واتجزون بالاحسان احساناً وناسواه  
سوهاً، وانها لمحنة ابداً، او المار ابداً .

يابني عبد المطاب . . والله ما اعلم شاباً جاء قومه بأفضل  
ما جئتم . اني جئتكم بخیر الدنيا والآخرة . . فلن يحييوني  
الى هذا الأمر ، ويؤازري على القيام ٤٠٩ .

الآن - في هذه المرة - حينما أنهى خطابه الكريم أعقبه  
مباشرة عمه (ابو طالب - ع ) بخطبته لبني قريش دعوة  
النبي ﷺ وأعلن حمايته ومساندته الاسلام والمسلمين ،  
قال : « ما احب اليها معاونتك ، واقبلنا نصيحتك ، وأشد  
تصديقنا لحديثك ، . . وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، واما  
انا احدهم ، غير اني اسرعهم الى ما تحب . . فامض لما امرت  
به ، فوالله لا ازال احوظك وامتنعك » .

وقاطعه أبناءها (ابو هب ) بالرد قائلاً : « هذه والله  
السوأة . . خذوا على يديه قبل أن يأخذ على يده غيركم ،  
فإن اسلتموه حيثئذ ذلكم وإن منتموه فتلهم » .

يد ابا طالب لم يعبأ به ، ولم ياتفت اليه واستمر يصرح  
بليغها موقفه الاسلامي الرائع راداً ابا هب ، بقوله المعرفة :

« والله لنحمدنه ما بقينا ». .

فأعلن بنو هاشم موقفهم يسندون أبا طالب (ع) في نصرته ومدحه النبي ﷺ ودعوه ،  
وأعلن موقف أبي طالب (ع) ومبادرته إلى إجابة النبي  
(ص) وتلبية دعوه كان أسلوباً منظماً نتيجة الخبرة التي  
قادها من موقف أبي طلب في المرة الأولى لاجتثاثهم .  
ب - ( كا صد ع بما تؤ مر واعتبر عن المشر كين ) .

---

وبهذا النص الازمي أيضاً انطلقت الدعوة في مرحلتها  
العلمية خارج نطاق عشيرة النبي ﷺ ، وكان يوم إعلانها  
حدثاً تاريخياً مشهوداً مثلّ في قائد الدعوة أروع البطولات  
وأمثل المواقف الشائرة ، وقبل أن تنطلق الكلمة الداعية ،  
الكلمة المجاهدة ، الكلمة الرسالة البناءة ، من فمه الشريف  
مشى الأسلوب الذي يقطع على قريش خط الرجعة فيما إذا  
حاولت أن تقف دونه وذلك باخذ الضمان منهم لتصديقه فيما

يُدْعُو هم إلَيْهِ ، فَوَقَفَ عَلَى (الصَّفَا) ، وَنَادَى بِكَلَامَةِ قَرِيشٍ  
اللَّاجِئَاتِ فِي الْأَمْرِ الْمُمْكِنِ «يَا صَبَاحَاهُ ، يَا صَبَاحَاهُ» فَجَتَمَعَتْ  
حَوْلَهُ قَرِيشٌ وَهُنَّ الْمُؤْمِنُونَ . لَيَرَوْا مَاذَا عِنْدَ مُحَمَّدٍ مِنْ شَأْنٍ خَطِيرٍ ،  
فَيَدَأُّمُّ لِيَأْخُذَ الصَّفَّانِ فِي تَعْصِيدِهِمْ أَيَّاهُ فِيمَا بَعْدَ ، قَائِلاً :  
«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنْ خَيْلًا وَرَاهُ هَذَا الْجَبَلُ تَرِيدُ أَنْ  
تَغْيِيرَ عَلَيْكُمْ ، أَكَمْتُمْ مَصْدِقَتِي ؟» فَقَالُوا : «نَعَمْ . أَنْتَ  
عِنْدَنَا غَيْرَ مَتَّهُومٍ ، وَمَا جَرِفْنَا عَلَيْكَ كَذِبَاتِنَا» وَكَانَ هَذَا  
الْجَوابُ هُوَ الصَّفَانِ الَّذِي أَخْدَهُ مَتَّهُومٌ .

نُمْ أَعْلَمُ دِرْ وَتَهْ قَائِلاً: « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدِي عَذَابٍ شَدِيدٍ . . . . » . فَكَانَ وَقْفٌ رَهِيبٌ حَاسِمٌ ، اضطُرِعَتْ عَلَى مُوسَى دُهْنَةٌ عَقِيقَةٌ إِنَّا لِلّٰهِ وَالشَّرْكَ ، وَتَمَازِلَتْ قَوْيَ الْخَبَرِ وَقَوْيَ الشَّرِّ تَتَجَاهُوا لَانْ مَعْرِكَةُ الْأَوْتِ وَالْحَمَاءَ ، فَجَرَ (ابو لهب) فِي مِيدَانِهِ شَعَّةَ الشَّرِّ وَالشَّرِّ بِهَوَانِهِ الْهَدَايَةَ بِخَاطِبِ مُحَمَّداً (ص) : « تَبَّاكَ سَائِرُ الْيَوْمِ . . أَهُدْنَا جَمِيعَنَا؟ » وَفَجَرَ

( القرآن ) الکریم فیه طاقة التوحید والخیر باـیه البناء  
يرد ابا طب : « بـسم الله الرحمن الرحيم . تبـت بـدا أـبـي طب  
وتـبـ . ما اغـنـ عـنـهـ مـالـهـ وـماـ كـسـبـ . سـيـصـلـيـ نـارـاـ ذاتـ طـبـ  
وـأـسـأـتـهـ حـالـةـ الحـطـبـ . فـيـ حـيـدـهاـ جـبـلـ منـ مـسـدـ » .

وذهب خبر الدعوة يتناول ويشتم منتشرًا في أواسط  
مكة وفي رابع جزيرة العرب وبين قبائلهم ، وذهب  
المتعلمون إلى الحق وإلى المذلة يدخلون الإسلام سرًّا أو علانية  
وبخاصة من أفراد الطبقتين الأخيرتين ( الإرقاء والاحلاف ) ،  
كان بعضهم يتسلل إلى النبي ﷺ سرًّا خشية سيده ، وكان  
بعض الآخر يعلن إسلامه متحدياً بذلك سيده . . فتهرب  
الدعوة رجال ، وwives آخرون وبخاصة ذوي المصالح والمكانت  
الاجتماعية ، وذوي النفوذ والسيطرة ، لأنها هددت كيانهم ،  
وهزأت بقيمهم الاجتماعية وما إليها . . فراحوا يتآهبون  
لمناوتها ، ويستعدون لمحاربتها ، ويجتمعون للوقوف أمامها  
ودون انتشارها وتركزها فالقضاء عليها .

#### ٤ - المفاوضة :

وحيثما نجس خطر الدعوة حقيقة مائة أيام اعين  
اعدائها، وبدأ الصراع بينهم وبين المسلمين رأى أسياد  
قريش وزعماؤهم أن يعشوا الاصاليف السلمية - بادىء الرأي -  
في صد الدعوة وایقاف حركتها وذلك بالمفاوضة ، احتراما  
لأبي طالب ، وخشية أن تقم الحرب بينهم وبينبني هاشم  
التي قد نشرها صلاة النبي ﷺ في دعوته ، وصلاحة  
بني هاشم - وعلى رأسهم أبو طالب - في استناده الدعوة ..  
وكانت المفاوضة مرتين مع أبي طالب ، وثالثة مع النبي  
مباشرة ، نخللتها مساومة ، وكانت النتيجة فشل قريش في كل  
من محاولاتها .

١ - وكانت المفاوضة الأولى تحمل طابع العنف في طبيعتها  
فقد كلام اشراف قريش بالسانها أبا طالب : في أن يترك النبي  
ﷺ دعوته ، ويكتف عن آهتهم وتقاليدهم أو يخلّي بينهم

وابن محمد قائلين : « يا باب طالب : ان ابن أخيك قد سب  
آهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه احلامنا ، وضلل آباءنا ، فما  
ان تكفره عنا ، واما تحمل بيتنا ودينه ، فنكفر بك ». .

فرد لهم ابو طالب رداً جميلاً ، رجموا على أثره خائبين.

٢ - وكانت المفاوضة النازية اكثراً عندها ، عرضوا فيها  
على أبي طالب عليه السلام منازلة النبي صلوات الله عليه وآله ، أو يترك  
المدحوة . . قالوا : « يا باب طالب ان لك سبباً ، وشرطاً ، و منزلة  
فيينا ، وانا قد امتنعنا مالك من ابن أخيك ، فلم تنه عننا ،  
وإذا والله لا نسبر على هذا ، من شتم آهائنا ، وتصفه احلامنا  
وعيب آهتنا ، حتى تكفره عنا ، أو تنازله وابيك في ذلك  
حتى يملك أحد الفريقين ». .

الا أنه حين وصل خبر المفاوضة هذه الى النبي صلوات الله عليه وآله  
قال لهم : « والله لو وضعوا الشمس في معيدي والقمر في بساري  
على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهر الله أو أهلك

دونه » .. فقال أبو طالب عليه السلام : « اذهب يا بن أخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلفك لشيء أبداً » ، يؤكد بذلك من عزيمة النبي صلوات الله عليه وآله ، ومن كفالته إياه ، وأسناده الداعرة ودفعه عن المسلمين .

وحيث قشلت قريش في مفاوضتها مع أبي طالب عليه السلام ارتأت أن تذهب أسلوب المساومة نهاية المفاوض معه . . فساومته بد ( عمارة بن الوليد بن المغيرة ) - وهو من طبيعة فتيانها شجاعة وجسلا - بدل محمد صلوات الله عليه وآله ، قالت له : « يا بابا طالب : هذا عمارة بن الوليد أذهب فني في قريش وأجله فخذه ، فملك عقله وأنصره ، واتخذه ولداً ، فهو لك ، وأسلم اليه ابن أخيك ، . . . فنفته ، فأنما هو رجل برجل » .. فقال عليه السلام : « والله لم يُؤسس ماتسوسوني ! . . أتعطونني ابنكم أغدوه لكم ، واعطيكم ابني تقتلونه ! . . هذا والله مالا يكون أبداً » .

٣ - وكانت المفاوضة الثالثة ، والتي هي مع النبي صلوات الله عليه وآله

مباشرةً أبين في فشلها وخساران قريش ، فقد أرسالت إلى  
 النبي (ص) - (عتبة بن ربيعة) - وهو من مداداتها ،  
 هرف بهدوئه واتزانه - وعرض عليه استعداد قريش لأن  
 تعطيه كل ما يطلب ويريد على أن يتنازل عن دعوه فأثلاه:  
 « يا بن أخي : إنك من حيث قد علمت من المكان في النسب ،  
 وقد اتيت قومك باسم هظيم ، فرقت به جماعتهم . . . فاسمع  
 مني أعرض عليك أموراً أعلمك تقبل بعضها ، إن كنت إنما  
 تريده بهذا الأمر مالاً جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثراً  
 مالاً ، وإن كنت تريده شرفاً سودناك علينا فلا انقطع أمرأ  
 دونك ، وإن كنت تريده ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان  
 هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا  
 لك الطبع وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ . »

فكان جوابه (ص) : إن فرأى عليه أوائل سوره فصلت:  
 « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حِمْ . تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .  
 كِتَابٌ فَصَلَاتٌ آيَاتٌ قُرآنًا عَرِيَّا لِّقَوْمٍ يَعْمَلُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا ،

فَأَعْرِضُ إِنَّهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قَلُوبُنَا فِي أَكْنَافٍ  
تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانٍ تَأْوِيرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكُمْ حِجَابٌ فَاعْمَلْ  
إِنَّا عَامِلُونَ قُلْ إِنَّمَا إِنَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيْنَا  
الْحُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَهٌ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَوْلِيلٌ لِمَشْرِكِينَ  
الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمُ الْكَافِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْزُونٍ قُلْ إِنَّكُمْ  
لَتَكُونُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَنَجَعَلُونَ لَهُ اِنْدَادًا  
ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارِكَ فِيهَا  
وَقَدْرَ فِيهَا أَفْوَاتِهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاهَا لِلسَّاهِلَيْنَ ثُمَّ اسْتَوَى  
إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَنَالَهَا وَلِلأَرْضِ أَئْتَهَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا  
قَالَتَا أَئْنَاهَا طَائِمَيْنَ فَقَفَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَادْعَى  
فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الَّذِي بَعْصَابِيْجَ وَحْدَهُ ظَا  
ذَلِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ثُمَّ اعْرَضُوا فَقُلْ إِنَّهُنَّكُمْ  
صَاعِقَةٌ مِثْلُ صَاعِقَةِ عَادٍ وَمُوْدٍ وَرَبِّنَا كَانَ اخْتِيَارُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْآيَاتُ الْمَبَارَكَةُ

لأن يعرف موقد قريش حقيقة القرآن الحكيم ، وواعظ رسالته واهدافها وتأثير الجمالة والواسب السكافرة وعواطف الصالحة في منع الإنسان من أن يعمي أو يهتدي إلى سبيل الحق والخير والجمال ، ولأن يعرفه على جملية بعض مفاهيم الإسلام وتعاليمه في جوانب مختلفة مما تطلبها حياة الإنسان .

ولعل تأكيداته على عقيدة التوحيد وفرضية الزكاة بذكره الآية العزيزة ، يشير به ويلفت (عتبة) إلى دوافع أسياد قريش في موافقهم المدائية تجاه الدعوة .

فرجع (عتبة) إلى قريش ينهاهم عن التعرض إلى محمد ، لأنه أدرك صدقه في دعوته ووعي نبل غاياته .

وفي نهاية ندحكم المفاوضات حيث تلزم الموقف بين النبي عليه وفريش ، وعند الصراع بين المسلمين وأعدائهم ، جمع أبو طالب بن هاشم واعلمهم أمر المفاوضات ونتائجها وموقف النبي عليه و موقفه هو وموافق قريش ، فسكن

موقفهم ان صمموا كلهم غير أبي طلب ، على الوقف صفاً واحداً في نصرة الدعوة ومقاومة فريش .

#### ٥ - التعذيب :

ووجعت فريش أن تتخذ موقف الارهاب من الدعاة المسلمين ، وذلك بان تعذب الضففاء منهم من أفراد الطبقتين الأخيرتين من لا ينتصر ولا يشار لهم اسبادهم وخلفاؤهم ، وربما كانوا هم انفسهم يعتذرون لهم ، امثال : بلال ، وآل ياسر وخطاب بن الارت .

٦ - بلال : كان متى حيت الشمس وقت الظاهيرة اهاجرة يليقيه سيده في الرمضاء الملعنة على وجهه تارة ، وعلى ظهره اخرى ، ثم بأمر بالصخرة العظيمة المحاجة ، فتلقى على صدره وهو يخاطبه : « لا تزال كذلك حتى عوت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى » ، فتقول العقيدة المتجسدة ببلال في مجال التضحيه المقدسة البناءة : الكلمة المحاهدة والخالدة

مع الحياة تغير دروب الناشرين ونائب عزائم البطولة «احمد . احمد» .

استمر «لله ياخن تحت وقム سباط مسيده الكافر فشيد العقيدة المناهية لتدفع جنودها الى سوح التضحيات الكريمة من اجل خير الانسانية ، حتى انفذه (ابو بكر) حيث اصتبده بعبد كافر كان عنده .

٢ - آل ياسر (عمار وابوه ياسر وامه سمية) : كان هؤلاء في تضحياتهم - وبخاصة شلوبي ياسر وسمية المزعرين - الحجر الاساس في بناء الدعوة ، والمنار الهدافي في طريق الدعاة الناشرين . .

كان اسيادهم يخرجونهم الى (الابطح) عندشدة ارتفاع حرارة الشمس حيث الرملاء المحرقة بحرها ، يواصلون مهمهم انواع التعذيب والوان التكبيل ..

وصى بهم النبي ﷺ ذات يوم وهم تحت وطأة المذاب

يُقاسون آلامه المضطهدة فقال عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ : « صبراً آل ياسر ظان  
موعدكم الجنة » ، فكانت الكلمة الرسالة ، والتي تفهم ان  
الدعوة - آية دعوة - لا ترغم بناها ولا نصل الى أهدافها  
وغاياتها ، إلا بعد أن تضع في الأساس اسلاماً يتضمنها من  
ابنائها الشهداء ، وبعد أن تسقى تربتها بالدم الطاهر النير ،  
لتختسب فتشعر ، .. والتي تفهم أن العقيدة - آية عقيدة -  
مالم تبلغ في قاعديتها هذه القمة من الفداء ، وذكر ان الذات  
من أجلها وفي سببها ، لا تبعد العقيدة الحية الماهضة .

٣ - جباب : كان يعرى من قبل أسياده ثم ياصق ظهره  
بالرمضاء المذهبة حرارة وتحت شواطئ الشمس ، ثم تلقى عليه  
المجارة المحمرة بالنار ..

وكان غير هؤلاء من المذين في الله ، ومن الذين  
صدقوا ( الوعد الحق ) فكانت الجنة وكان الخلود .

وهذا ربما نلمس هيدئاً مثيراً وراء تلوك التضحيات أود

أن أعرضه بشيء من الإيضاح :

كانت الدعوة يومها كتلة صغيرة ضعيفة - لأنها بعد  
لأنزل وليداً يتكامل في نوءه تعلم وسط مجتمع تكتل بكثرة  
وطاله من فوة ضدها ومن أجل الفتناء عليها . . ومن الطبيعي  
أن التضييع من أمثال أو لئكم الدعاء في مثل كتلتهم الصغيرة  
الضعيفة لاتتأتى إلا إذا توفر الداعية - حالة التضييع -

على دوافع ضخمة في زخمها ، قوية في حيوتها ، غنية في طاقاتها  
ضخمة في عطائها ، تكده بالغوفة المــاثلة الواسعة ، لتبلغ  
التضخمية في نفسه نتيجة فاعلية لا نأثرها فــة التقديس الاعلى .

وهو شئ قد لا نلمسه في غير الدعوة الإسلامية، بما  
تسبقه من يقينية في نفوس دعاها حول واقعها، وما تفتح  
آمام أعينهم من آمال عظام، تقر بها من متناولهم متى سموا  
بحوها، وبما تصرب من وعود بالفوز والنجاح زر بطيءا بالنصر  
من الله تعالى، الذي هو أقوى وأأقهر وأقدر قوة في الوجود.

و بما ترسم لهم من هدف اسمى ، تخلل حب السبق اليه  
في اعماق قلوبهم . . فقد كان قائد الدعوة الرسول الاعظم  
صلوات الله عليه - كما يحدث مؤرخو سيرته المقدمة . . يغرس في نفوس  
دعائه تذكرة اليقينية الخلاقة ، و ينميها عندهم بالأمال الصادقة  
ويغذيها - بعد ما بالوعد بنصر الله تعالى لهم ، ثم رايتها الى  
العمل بمحلوته الهدف الاسعى للانسان في الحياة . . وبكلمة  
آخرة : يشيرها نوراً و ناراً بالتقديمية التي يشحذها للدعوة  
قدر مائة طلب للعمل من أجلها .

فلم يكن ياصر وسمية وأمثالها ليضحيوا تخلصاً من أغلال  
ال العبودية فحسب ، وإنما هي اهداف الاسلام في حيواناتها  
ودفعها وعظمهما .

### المigration to the hijrah :

---

وكاد الارهاب بهذه الالوان العنيفة القاسية من التعذيب  
والتنكيل ، أن يصل فريشاً الى اهدافها ، فيفل من عزائم

الدعاة و يصد الدعوة و يشل من حركتها ، .. فرأى النبي (ص) - إنما تصل قريش الى غاياتها ، وإنما يضعف المساومون - أن يترك الدعاة مكة ، وبها جروا الى خارج بلاد العرب ، ليقووا و يتماسكوا أكثر من ذي قبل ، لأن من طبيعة هذه امثال المواقف - غالبا - أن تهدى الدعاة بالطاقة الدافعة الخلاقة ، و تغدوهم القوة المتلاজنة المتماسكة و تذهبهم بالحماسة الشائرة ، . ورأى ( صلى الله عليه و آله ) أن تكون الهجرة الى (المدينة ) لما عرف به ملوكها ( النجاشي ) من الاستقامة و طيب العادة . فاعده ( ص ) الدفعة الأولى من الدعاة و يعشهم بعية ( جعفر بن أبي طالب رض ) و كانوا أحد عشر رجلا و أربعم نساء ، خرجوا متسللين خشية ان تعرف أمرهم قريش فتقف دوائرهم عند هم من الهجرة آخذين جهة البحر ثم مادحه وهناك قضيت لهم سفيهتان نجوايان اقتلتاهما الى المدينة ، وكانت في سنة ( ٦١٥ م ) ثم تبعتها الدفعة الثانية ، .

فتكان عدد المسلمين بما ينافر المئة أو يتجاوزها .

وحيثما غادر المسلمون مكة المكرمة إلى الحبشة اضطرب الجو السياسي القرشي في مكة ، وتبليلت الوضعية أى تبليل ، وقلقت نفوس قريش كل القلق ، وعموج التفكير وتلاعب في ذهنياتهم ؛ سيسفعه المسلمون عقولها أمام المجاشي وأبناء الحبشة ، وسيتمالون من آهتنا ويعيرونها ، وربما تركزوا اجتماعيا هناك ، وقوى نفوذهم ، ونشطت دعوتهم ، وتركزت وتوسعت : فكانت لهم دولة إسلامية ، يغزوونها بها ويغتصبون بلادنا ، فيستولون علينا . .

ومشي التفكير بعدها مجرى الحال لهذه المشكلة والتعرف على الطريقة الناجحة في منع المسلمين من ذلك ، وكان الرأي : هو أن بعثت قريش رسالتين بعنانها أمام المجاشي ، يحملان معهم الهدايا الكثيرة المئنة اليه والى وزرائه واسراف بلاطه بغية إسماعتهم الى مؤازرة قريش في مهمتها ٠٠٠

وحينما وصل الرسولان وقدما المهدابا الى الحاشية الملكية  
 واحبروهم الأمر ، واعلمواهم الغاية من مجبيئها وهي : أن يسلم  
 النجاشي المسلمين الى قريش ، بعد ان اتفقا معهم على أن  
 يشيروا على النجاشي باقصائهم ، والطريقة التي تطبع في افناعه  
 بذلك بان يفهم « بازهم ناس من سفهاء العرب ، فارقوادين  
 قومهم ، ولم يدخلوا في دين الملك » ، وجاءوا بدين مبتدع  
 لا نعرفه نحن ولا أنت » . . . رفعت الحاشية أمرهم الى  
 النجاشي ، . . فبعثت على المسلمين ليستطلع واقع الأمر ،  
 فحضروا عنده يقدمون جعفر بن أبي طالب رض ، فسألهم:  
 « ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ،  
 ولا في دين أحد من الناس ؟ »

**فجا به جعفر :**

« ايها الملك كننا أهل جاهليّة ، نعبد الاصنام ،  
 ونأكل البيضة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونمسي

الجوار ، وأكل القوي مما الضعيف ، . حتى بعث الله  
اليهار مولاً مما نعرف أنسه وصدهقه ، وأماناته وعفافه ،  
فدعانا لتوحيد الله وأن لا تشرك به شيئاً ، ونخلع ما كنا  
نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث؛ وأداء الأمانة،  
وصلة الرحم؛ وحسن الجوار ، والكف عن المخaram والدماء  
ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وأمرنا  
بالصلوة والصيام . . . . وعدد عليه تعاليم الإسلام ، ثم قال:  
« فآتنا به وصدقناه ، وحرمنا ما حرم علينا ، وحللنا ما حل  
لنا ، فتمدّى علينا قومنا ، فمدّبونا ، وفتّونا عن ديننا  
ليردونا إلى عبادة الآوثان ، فلما قهروننا وظلمونا ، وحالوا  
بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، وأخترناك على من  
سوالك ورجونا أن لا نظلم عندك » .

وقال المنجاشي .

« هل معك بما جاء به عن الله شيء؟

قال : نعم . . وقرأ عليه قسما من سورة ( مریم ) من  
القرآن الكريم .

فبكى النجاشي وأساقفته ، وقال : « إن هذا الذي جاء  
بـه عيسى بخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ( يخاطب رسول  
قريش ) ، وافه لا اسلمهم البكاء أبداً » .

خرج الرسول لأن منكرين ، يقول أحدهما إلى الآخر :  
« والله لآتنيه ( يعني النجاشي ) غداً بما يبعد خضراهم ».  
وجاءه من الغد ، وقال له وشایة المسلمين : « إن هؤلاء  
يقولون في عيسى بن مریم قوله عظيمها » .

فأحضر النجاشي المسلمين ، وسألهم عن رأي الإسلام  
في عيسى بن مریم ، فأجابه جمفر - أيضاً - : أن الذي جاءنا  
به النبي محمد ﷺ : إن المسيح بن مریم عبد الله ورسوله  
وروحه وكلمه القاها إلى مریم العذراء .

فتناول النجاشي عوداً من الأرض ، كان ملقى ، وقال :

« ماعدا عيسيٍ ما فلت قدر هذا العود » وتوجه الى المسلمين الحاضرين كافة قائلاً : « اذهبوا فانتم آمنون ، ما لاحب أن لي جيلاً من ذهب واني آذيت رجالاً منكم »، ورد هدايا قريش الى رسوليها ، وهو يقول : « ما اخذ الله الرشوة مني حتى أخذها منكم ، ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيه » ، (١) وربما كان اختيار جعفر لفراه، فسورة مرثيم اسلوب املأه عليه واقع النجاشي وهو انه مسيحي المبدأ .

وبقي المسلمون في الحبشة احد عشر عاماً ، عادوا بعدها الى (المدينة المنورة) حيث اقام الرسول الاعظم عليه السلام الدولة الاسلامية .

## ٧ - التشكيك :

---

وحيثما رأت قريش فشل المقاومة ، وعدم جدوى الارهاب وخبيتها مع النجاشي ، وفهمت صدق الدعوة وسمو اهدافها ،

---

(١) يقرأ : الغزالى ، ص ٩١ ، ٩٠

وشهدت اقبال الناس عليها، تأزم موقفها في حرارة مشديدة..  
 فقررت ان عشي لصد الدعوة اسلوب التشكيك ، فتثير  
 الشكوك حول زعامة النبي ﷺ : انه صغير السن ، انه قليل  
 المال ، الأمر الذي يتنافى وعرفهم في الزعامة .. « وقالوا: الولاء  
 نزل هذا القرآن على رجل من الفريقيين عظيم » (١) ..  
 « وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض يسوعا .  
 او تكون لك جنة من نخيل و عناب فتفجر الانهار خلامها  
 تفجيراً ... او يكون لك بيت من ذخرف » (٢) ..  
 وتشير الشكوك والشبهات حول نبوته : انه ليس من  
 الملائكة ، ولا من السماء ، « قل: لو كان في الأرض ملائكة  
 يخشون مطعنين لرزقنا عليهم من السماء ملوكاً سولاً » (٣) ..

---

(١) الآية ٣١ من سورة الزخرف

(٢) الآيات ٩٠، ٩١، ٩٣ من سورة الاسراء

(٣) الآية ٩٥ من سورة الاسراء

و حول قرآن : انه شعر ، او ما يشبه الشعر ، « ويقولون :  
 انسا لزار كوا آهتنا لشاعر مجنون » (١) ..  
 و حول شخصيته الكريمة : انه ساحر ، انه مجنون ،  
 « وقال الكافرون : هذا ساحر كذاب » (٢) .. « قالوا :  
 يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون » (٣)  
 و امثال هذه الشكوك .

و كانت قريش في كل اسم ايتها هذه فاشلة ، لأن واقع  
 الاسلام في صفاتهم و نفائطهم و صراحتهم يتجدد كل ما تقول ،  
 و يبطل كل ماندعى .

#### ٨ - المقاطعة :

---

وهنا رأت قريش حيث لم تفلح في كل مسعاها ، وفي

---

(١) الآية ٣٦ من سورة المصاتفات

(٢) الآية ٤ من سورة ص

(٣) الآية ٦ من سورة الحجر

مختلف وسائلاً وأدالاً فيها ، أن تبني الأسلوب الأشد عنفاً في فسوته وضرارتها ، وهو ( المقاطعة ) .  
وكان عام ( ٦١٧ ) ٠٠ وموجزها :

عقدت فريش مؤتمراً للدراسة الموقف بشكل أعمق وأوسع حسبما تقتضيه طبيعته ، وكانت النتيجة أن فررت المقاطعة ، وكتبت فيها ( صحيحة ) ضمنتها بنود المقاطعة وهي :

- ١ - إن لا تزوج فريش من بني هاشم ولا تزوجهن .
  - ٢ - إن لا تدعهم شيئاً ولا تشرى منهم شيئاً .
- وعلقت الصحيفة داخل الكعبة .

وحين علم بنو هاشم بقرار المقاطعة دخلوا ( الشعب ) ( ١ ) مع أبي طالب عليه السلام محاصرين فيه ، لا يتصلون بأحد ولا يتصلون بهم ، ولا يصل إليهم شيء من الطعام أو الماء ، بسبب رقابة فريش اليقطة الشديدة التي ضيق المجال أمامهم في شراء

---

( ١ ) الشعب : شق في الجبل يشبه المخباً .

السلام من أي سوق ، وذلك إنها التزمت بـان يشتري . الفرضي  
السلمة باغلى عن ثلاثة يشتريها المعاشر ، حتى بلغت الحالة أن  
يقتات بنو هاشم بورق الشجر .

« قال السهيلي : كانت الصحابة إذا قدمت غيره إلى  
مكة ، يأنى أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام قوتا  
لعياله ؟ فيقوم أبو طلب فيقول : يامعشر التجار غالوا على  
اصحاح محمد ، حتى لا يدركوا معكم شيئاً .. وقد علم مالي  
ووفاه ذمتى ، فانا ضسامن ان لا خسارة عليكم » . فيزبدون  
عليهم في السلعة قيمتها اضعافاً ، حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله  
وهم يتضاغون من الجوع ، وليس في يده شيء . يطعمهم به  
ويغدو التجار على أبي طلب فيربحون فيما اشتروا من الطعام  
والملابس ، حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرضاً (١) .  
استمرت المقاطعة (ثلاث سنين) حوصر خلاطه ابن وهاشم

---

(١) الغزالى ، ص ٩٤ .

أشد الحصار وضيق عليهم الخناق من قبل فريش اعنف التضييق .  
وقد قوت المقاطعة من عاصك بني هاشم ، ومن غلطة  
العقيدة في نفوسهم أكثر وأعمق ، ومن شعورهم بالعدا  
الصارخ لفريش ، وكذلك المسلحون خارج الشعب لا حاس لهم  
وشعورهم أحاسيس ومشاعر بني هاشم في آلامهم وأماهم ..  
ذلك أن من تنازع امثال هذه الواقف كالمقاطعة والحرصار  
والسجن وما شاكل ، في نسميات وشخصيات الدعاة ، وفي  
بيان وشخصية الدعوة : العاصك والتلاحم والحماسة والاندفاع  
بشكل أدق وأكثر من ذي قبل .

وانتهت المقاطعة بعد أن أكلت الأرضة من الصحفة  
كل كلمة لم تكن ذكرأ الله تعالى ، وأوحى الله تعالى إلى  
النبي ﷺ يخبره بذلك ، وآخر النبي ﷺ عنه ابطاله عليهم السلام  
وخرج هو وجاءه من بني هاشم إلى المسجد الحرام : وحدث  
ابو طالب عليه السلام فريشاً باخبار النبي ﷺ اياه عن أمر

الصحيفة ، طالبًا منهم ان كان الخبر كما قال النبي ﷺ يرفع  
 المضار وتبطل المقاطعة ، وإن كانت ليس كما أخبر بسلم  
 النبي ﷺ لهم .. فاتلا : « إن ابن أخي قد أخبرني  
 - ولم يكذبني فقط - أن الله قد سلط على صحفتكم الأرضة ،  
 فلتحس كل ما كان فيها من جور وظلم أو قطيبة رحم ،  
 وبقي فيها كل ماذكر به الله .. فإن كان ابن أخي صادقاً  
 نزعم عن سوء رأيكم ، وإن كان كاذباً دفعته اليكم فقتلتموه  
 أو استحببتموه » .. فقالوا : « قد انصفتنا » . ونظروا  
 الى الصحيفة فكانت كما أخبر النبي ﷺ ، فقال أبو طالب رضي الله عنه :  
 « علام نحبس ونحصر وقد نان الأمر؟ » ، ثم دخل هو  
 وجاءته من بنى هاشم بين الكعبة واستثارها ، ودعا :  
 « اللهم انصرنا من ظلمنا ، وقطع ارحامنا ، واستحلل ما يحرم  
 عليه منا » .. ثم عادوا الى الشمب (١) .

(١) بقرأ : دويidar ، ص ١٨٤

واختلفت قريش فيما بينها حول أبطال المقاطعة، وتحفظت  
جامعة منها للعمل لنقضها، بقول صاحب الـ*سيرة النبوية والآثار*  
*المحمدية*: «عند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك  
الصحيحة، وهم هشام بن عمرو بن الحارث العاصمي، وزهير  
ابن أبي أمية المخزومي، والمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف  
وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، فشي هشام  
ابن عمرو إلى زهير بن أبي أمية فقال: أرأيت أن تأكل الطعام  
وتلبس الثياب وتنكح النساء، وأخواك حيث علمت؟! ..  
قال: ويحك يا هشام! ماذا أصنع؟ فاما أنا رجل واحد،  
والله لو كان معي رجل آخر لقدمت في نقضها، .. فقال:  
فانا معلمك، فقال: أبغضنا ثالثاً، . ومشينا جميعا إلى الطعم  
ابن عدي، فقال له: أرضيت أن يهلك بطنان من بني  
عبد مناف وانت شاهد؟! .. فقال: إنما أنا واحد، ..  
فقالا: إنما معك، .. فقال: أبغضنا رابعاً . فذهبوا إلى أبي

البغترى . فقال : أبغنا خامساً . فذهبوا الى زمعة بن الاسود  
فوافدهم على ذلك . . فقدموا لبلاء على مكة ، وتماقدوا  
وتماهدوا على نقض تلك الصحيفة ، وخارجبني هاشم من  
الشعب . . وقال لهم زهير : أنا أبدؤكم واكون أول من  
يتكلم . فلما أصبحوا غدووا الى انديةهم ، وغدا زهير - عليه  
حلة - فطاف بالبيت ، ثم اقبل على الناس فهال : يا أهل مكة ،  
أنا كل الطعام وزابس الثياب ، وبنو هاشم والطلب هابكي ،  
لا ينطعون ولا يذمرون ! . . والله لا أقعد حتى تشق  
هذه الصحيفة القاطعة الظالمـة !! . . فقال له ابو جهل :  
كذبت !! . . فقال زمعة بن الاسود : أنت والله أكذب !! .  
مارضينا كتابتها حين كذبت . . فقال ابو البغترى : صدق  
زمعة . . فقال مطعم بن عدي : صدقها وكذب من قال غير  
ذلك . . نبرأ الى الله منها وعما كتب فيها !! . . فقال هاشم  
ابن عمر مثل ذلك . . فقال ابو جهل : هذا أمر قد قضي بهيل .

واضطرب الأمر بينهم ، وكثر القيل والقال ، فقام مطعم  
 ابن عدي إلى الصحيفة فشقها ، وفي رواية : قام هؤلاء الخمسة  
 ومعهم جماعة ، فلبسوا السلاح ، ثم خرجوا إلى بني هاشم  
 والمطلب ، وأمرتهم بالخروج إلى مساكنهم ، ففعلوا <sup>(١)</sup>  
 وخرجوا أكثر اندفاعاً واستبسالاً من ذي قبل في سبيل الدعوة  
 وكان المسلمون - غير بني هاشم - مدة المقاطعة يواصلون  
 العمل من أجل الدعوة ، فكانوا يتصلون بالناس في ذرات  
 مواسم الحج وغيرها يدعونهم إلى الإسلام . . . مما يكشف  
 لنا عمق أثر الدعوة في نفوسهم ، وسعة ملائحة لمواطنهم ، حيث  
 لم تقف المقاطعة ، ولا آلامهم للأمسة بني هاشم مشبطاً لهم عن  
 العمل ، وإنما كان الأمر - في واقعه - حافزاً أشد في دفعهم  
 واندفاعهم . . الشيء الذي أشرت إليه - قبل قليل - كاملاً  
 له مفعوله الكبير في ناسك الكتبة ، ودفعها إلى العمل .

---

(١) دويندار من ١٨٤، ١٨٥.

وبعد ان انتهت المقاومة سنة (٦٢٠ م) نوفي حامى  
الدعوة وكافل النبي وحشد المسلمين (أبو طالب عليه السلام)  
وتوفيت في نفس العام ايضاً (خديجة عليها السلام) بعد أن أنهقت  
كل اموالها في سبيل الاسلام، وأغمى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه لوفاتها ،  
وحزن حزناً شديداً ، وسمى ذلك العام (عام الحزن) .

واغتنمت قريش موت أبي طالب عليه السلام فرصة مواثية  
لمقاومة الدعوة ، وايضاً النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ، فخشدت كل ماتملك  
من امكانيات ، وكل ما في امكانياتها من طاقة لمقابلة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه  
ويصور صلوات الله عليه وآله وسلامه موقف قريش العدائي منه بعد وفاة عمه  
أبي طالب عليه السلام ، مقارنةً بينه وبين موقفها أيام حياته بقوله  
المأنورة : «ما زالت قريش كاعنة عنى حتى مات عمّي» .

فاعملت جميع قواها في الاعتداء على النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه  
والمسلمين ، . . ورأى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ان قريشاً لا تُشوب الى  
رشد ، ولا تقبل على هداية ، وان الدعوة لا سبيل لها لأن

تنهمض في مكة فتجعل منها قاعدة حز كزية ، تتعلق منها الى .  
البلاد الاخرى ، ورأى أن الدعوة في غير مكة أيسر في النهوض  
وفي التمر كز ، فصمم على الخروج الى ( الطائف ) لأنها أقرب  
إلى مكة ، وكان ذلك في عام ( ٦٢٠ م ) ايضا .

## ٩ - الى الطائف :

ونادر عليه السلام مكة الى ( الطائف ) ماشياً على قدميه ،  
ومبتعداً عن طريق الناس ، متخفياً خشية أن تعلم قريش .  
بحزوجه وبذهابه فقد سد عليه أمر الدعوة بأساليبها الخرافية ،  
ووسائلها المكروهة . . . ووصل الطائف ، ومكث فيها عشرة أيام  
يتصل بمختلف طبقاتها وأفرادها يدعوهم الى الاسلام بشتى  
الاساليب الانسانية ، فلم ير منهم غير الرد والرفض والاستهزاء .  
والسخرية حتى من قبل اشرافهم ، لما يدرهم وبين قريش من  
روابط اجتماعية واقتصادية ، ولم يتمكن بذوقه قريش منه ،  
بما يدرهم وبين العرب من رابطة دينية بوجود صنم ( اللات ) .

عندهم الذي يعد من أهم أصنام العرب التي يمحجون إليها . . .  
 فilmişم صلوات الله عليه على الرجوع إلى مكة ، وطالب من أشراف  
 الطائف كثيًّا خبر مجده ، غير أن الخبر كان قد شاع تفاؤلاً  
 من إقائه عندهم ، فطلبوه منه الخروج أيضا . . . وكان خروجه  
 مأساة مؤلمة أضيفت إلى مأساة عدم استجابة لهم له صلوات الله عليه ،  
 فقد ملأوا الشوارع والطرقات ، وسدوا المنافذ والمسارب ،  
 بخشدون أكواخ الحجارة ، يرمونه بها من كل جانب وصوب  
 حتى أدميت رجلاه الشر بفتان - كما ينقل المؤرخون - وضفت  
 قرابة وراح بحمل نفسه ثقيلاً وبطيئاً ، مما كان له اسمه الأثر  
 عنده نفسياً وجسدياً ، حتى التبعاً إلى حائط بستان لعمبة  
 وشبيهه أني ربيعة ، واستند عليه تحت ظل كرمة ليس تنبع  
 قليلاً ، وإنما يؤمن أذى الطائعين فيسترجع فواه كها بواصل  
 مسيره إلى مكة وهو في وضعية من الالم الصادع المراكع ، رق  
 ها صاحبا البستان فمعطفها عليه (تأثير القرابة فرداً عنه الناس)

جلس عليه اللهم ، ومررت عليه ذكريات وذكريات من حياته  
في الدعوة ، وما عاناه من قريش ، ثم دعا ربها تعالى : « اللهم  
إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ..  
أنت أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وانت ربى .. .  
الى من نكلني ؟ .. الى بعيد بتعجبني ام الى عدو ملكته  
أمرى .. ان لم يكن بك غضب على فلا ابالي ، غير أن  
عافيتك أو سمع لي .. اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له  
الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يجعل على  
غضبك ، أو اذا ينزل بي سخطك ، لك العتى حتى قرضي ، ولا  
حول ولا قوة الا بك » ، ثم ارسل صاحبها البستان اليه  
خادمهما بقليل من العنبر ، وحين مثل الخادم بين يديه عليه اللهم  
تناول العنبر لبأكله ، فائلا : « بسم الله » ، مما اثار استغراب  
الخادم حيث لم يألف عند غيره هذه البدأة في الاكل ، وبدت  
على ملامحه شارات الاستغراب فسأله النبي عليه اللهم عن عقیدته

وبالدته ؟ .. فاجأه نصراوي من نينوى . فقال عليهما السلام : من بلدة أخي يونس بن متى تلميذ ، وهذا استغرب الخادم أيضاً بأضامعرفة النبي عليهما السلام ليونس لما يدهما من الاختلاف في الزمن والبلاد وغيرها ، واستغرب أكثر ، أخوه له ، فسأله عن ذلك ؟ فاجأه عليهما السلام : كان نبياً وأنانبي . ومخاطبه بالدعوة إلى الإسلام فاسلم وكان بذلك من الصحابة الأوائل .

وترى هنا الحادثة بين النبي عليهما السلام والخادم . كيف أن النبي عليهما السلام لم يترك أي مجال وأية فرصة تمران به يستطيع أن يدعوه فيها إلى الإسلام إلا وستشعرها حتى ولو كان في مثل وضعية المؤلمة الصادعة .

وترك النبي (ص) المكان بجده المسير إلى مكة .

#### ١٠ الهجرة إلى المدينة :

كان النبي عليهما السلام في كل موسم من مواسم الحج وأسواق العرب ، أمثال : عكاظ وذي الحجاز ومحنة ، يتصل بالقبائل

التي تهدى الى البيت الحرام ، وترتدى الاسواق ، يدعوها الى الاسلام ، وكانت قريش تتبعه ، ففسد عليه أمره ، وتنعم القبائل من تلبية دعوته . . وكانت القبائل بحكم ظروفها ترحب بقريشاً وتتها بها ، مما يدعوها الى عدم اجابة النبي ﷺ في دعوته .

فلم يسلم من القبائل - بادىء الأمر - :

١ - الا قبيلة ( دوس ) ، فقد أسلم رئيسها ( الطفيلي بن عمرو ) ، وقسم منها ، تبعاً له ، بلغوا نحو ( ثمانين ) بيضاً . . والتحقوا بالمسلمين بعد ذلك في المدينة المنورة بعد قيام الدولة الاسلامية فيها .

٢ - والا قبيلة ( الخزرج ) وقبيلة ( الاوس ) وفي بداية اسلامها كانت الخطوة الأولى لاهجرة الى المدينة المنورة وفي فرصة اسلامها كان منشق التفكير بالهجرة وهي :

أ - بيعة العقبة الأولى :

كان النبي ﷺ في ترددٍ على القبائل قد التقى في موسم الحج بافراد من جميع الخزرج (١) ، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا ، وحملوا الدعوة إلى المدينة ، فلاقت - هنالك - خصوبة واسعة و مجالاً رحباً للانطلاق ، فعادوا من عامهم المُقبل اثني عشر رجلاً (عشرة من الخزرج واثنان من الأوس ) ، والتقوا بالنبي ﷺ في (مني) عند (جرة العقبة) - المعروفة بالجرة الكبرى والعقبة الكبرى - في موسم الحج ، فباعوه على شروط معينة يلخصها عبادة بن الصامت - فيما رواه عنه ابن إسحاق - بما نصّه : « قال : بائعنا رسول الله ﷺ على إلا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأذن بدمان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف » . . . قال - يعني

(١) الخزرج : يراد به الأوس والخزرج فقد كانت العرب تطلقه على الجميع .

رسول الله ﷺ : «إن وفيكم فلكم الجنة ، وإن غشيتكم من ذلك شيئاً فأخذتم بمحده في الدنيا فهو كفارة له » ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيمة ، فامركم إلى الله - عز وجل -  
 إن شاء عذب وإن شاء غفر » (١) وكان ذلك عام (٦٢٠ م).  
 « قال ابن اسحاق : فلما انصرف عنه القوم ، بعث رسول الله معاذ (معاذ بن عميرة) وأمره أن يقرر لهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويتفقهوا في الدين . فكان به معي (القرآن) بالمدية » (٢) .

#### بـ بيعة العقبة الثانية :

وحيثما عاد أولئك التغافر الطالع الناشر من مسلمي الخزرج  
 إلى المدينة المذورة ، انطلقوا مندفعين حماسة هقائدية وبكل  
إباء واحلاص ؛ يدعون إلى الإسلام ، فأسلم الكثيرون

(١) دويدار ص ٢٢٣

(٢) ن . م

من أهلها ، مما هيأ المدعواة الإسلامية قاعدة من المدينة ،  
ورصيداً شعبياً من أهلها .

ولما كان موسم الحج من العام التالي (٦٢٢م) جاء إلى  
مكة المكرمة من مسلميهم ثلاثة وسبعون رجلاً وأمرأة ،  
والتقوا بالذى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ في (منى) وعند (العقبة) أيضاً ،  
ورفعوا إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ أمر انتشار الدعوة في المدينة بما سر به  
إياها سرور . . وطلبوه البيعة ، فشرب لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ موعداً:  
(شعب العقبة) بعد الثالث الأول من أيام اليوم الثاني من  
أيام التشريق ، واشترط عليهم أن يكتموا أمر الموعد بمحافظة  
كل المحافظة على سرية الزمان والمكان ، وأن يأتوا إلى الشعب  
في الوقت المعين تسللاً ومتفرقين ، وأن لا ينتظروا غالباً ولا  
يوقظوا ناساً محافظة على الوقت وسرية الأمر ، وجعل الإمام  
عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عيناً على جهة من باب الشعب يراقب خشية أن  
يطلع أحد على الاجتماع ، وجعل الإمام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عيناً على الجهة  
الآخرى من الباب للعمدة تفهها .

«وَيَحْدِثُنَا كَعْبَ بْنُ مَالِكَ (رَضِيَّ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) كَيْفَ نَعْتَ هَذِهِ  
الْبَيْعَةَ فَيَقُولُ : خَرَجْنَا مَعَ حُجَاجَ قَوْمَنَا مِنَ الشَّرِّ كِينَ ،  
وَقَدْ صَلَيْنَا وَفَقَهْنَا ، وَمَعْنَا (الْبَرَاءَ بْنَ مَعْرُورَ) سَيِّدَنَا  
وَكَبِيرَنَا . . حَتَّى قَدَمْنَا مَكَّةَ . نَخْرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَنَا لَا نَعْرِفُهُ وَلَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَلَقِيْنَا رَجُلَيْنِ مِنْ  
أَهْلِ مَكَّةَ ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَا : هَلْ تَعْرِفَانِيهِ ؟  
وَقَلْنَا : لَا . فَقَالَ : هَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ عَمِّهِ ؟  
قَلْنَا : نَعَمْ - وَقَدْ كَنَا نَعْرِفُ الْعَبَاسَ وَكَانَ لَا يَزَالَ يَهْدِمُ  
عَلَيْنَا تَاجِرًا - ، قَالَ : فَإِذَا دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ  
مَعَ الْعَبَاسِ . (قَالَ) : فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ ، وَإِذَا الْعَبَاسُ جَالِسٌ  
وَرَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ مَعَهُ . فَسَلَّمْنَا نَسْمَمْ جَلَسْنَا . فَقَالَ  
لِلْعَبَاسِ : هَلْ تَعْرِفُ هَذِينِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبا الْفَضْلِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،  
هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورَ سَيِّدُ قَوْمِهِ ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكَ .  
(قَالَ) : فَوَاهَهُ مَا أَنْسَى قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمَاعِرُ ؟

قال : نعم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا الى الحج ، وواعدنا رسول الله العقبة من أوسط ایام التشريق .

فلم افرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله فيها ، ومعنى عبد الله بن عمرو بن حزام ابو جابر - سيد من سادتنا - اخذناه ، وكننا قد كتمنا من معنا من المشركين أمرنا ، فلما ناه وقلنا له : يا ابو جابر ، أذنك سيد من سادتنا ، وشريف من اشرافنا ، وانا نرحب بك عما انت فيه لأن تكون خطيباً للفار غداً ، ثم دعواناه الى الاسلام فسلم . واخبرناه بعياد رسول الله ايانا ، فشهد معنا العقبة وكان زقبيباً .

( قال ) : فنمتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالتنا ، حتى اذا مضى ثلث الليل ، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا .

( قال ) : فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ  
حتى جاءنا ومهه عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ  
على دين قومه ، الا أنه احب ان يحضر أمر ابن أخيه  
وستونق له ، فلما جلس كان أول من كلام العباس بن عبد المطلب  
فقال : يامعشر الخزرج - وكانت العرب آنذاك يسمون هذا  
الخلي من الانصار الخزرج ، خزرجها واوسها - ان محمدآ  
من حيث قد علمتم ، وقد منناه من قومنا من هو على  
مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وانه  
قد أبى الا الانحياز اليكم والاحراق بكم ، فلن كنتم ترون  
أنكم وافقون له بما دعوته اليه ، وما نعوه من خالقه ،  
فانتم وما نحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه  
وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه  
في عز ومنعة من قومه وببلده ، . .

فقال البراء بن معاور : أنا والله لو كان في أنسنا غير

مانذطق به لفلاه ، واجئنا زيد الوفاء والصدق ، وبدل  
مهجنا دون رسول الله ﷺ . . فتكلم يارسول الله ،  
نخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فذعن نبايعك .

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا الى الله ،  
ورأب في الاسلام ، . . ثم قال : « تبايعوني على السمع  
والطاعة في النشاط والكسل ، والذمة في العسر واليسر ،  
وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المكر ، وإن تقولوا في الله  
لاتخافوا في الله لومة لائم ، وعلى أن تصروني ، فتمعنوني  
ـ إذا قدمت عليكم ـ بما تدعون منه انفسكم وأزواجكم  
وابنائكم ، ولكم الجنة » .

( قال ) : فأخذ البراء بن معور بيده ، ثم قال : نعم ..  
والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نعم منه أزرنا ، . . فبايعنا  
يارسول الله ، فذعن ـ والله ـ أبناء الحروب وأهل الخلفة ،  
ورثناها كابرًا عن كابر .

( قال ) . فاعترض القول - والبراء بكلم رسول الله -  
ابو الحبيب بن التيهان ، فقال : يا رسول الله ، ان ينساوبين  
الرجال - يعني اليهود - حبلا ، وانا قاطعوها ، فهل عسىت  
ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك  
وتدعنا ؟ .

( قال ) : فتبسم رسول الله ﷺ . ثم قال : « بل  
الدم الدم ، والمدم المدم ۖ ۖ ۖ انا منكم وأنت مني » احرب  
من حاربتم ، واسالم من سالمتم » .  
قال كعب : وقد قال رسول الله ﷺ : « اخرجوا  
الى منكم اثني عشر نقيبا ، ليكونوا على قومهم بما هم فيه  
كفلاء » . فاخرجوا منهم اثني عشر نقيبا : تسعة من  
الهزرج ، وتلائة من الاوس .. فقال للنقباء : « اذن على  
قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم  
وأنا كفيل على قومي » . قالوا : نعم .

( قال ) : فلما اجتمع القوم ابیعه رسول الله ﷺ ،  
 قال العباس بن عبادة : يامعشر الخزرج ، هل تدرؤن علام  
 تبايعون هذا الرجل ؟ . . قالوا : نعم . قال : انكم تبايعونه  
 على حرب الاحمر والسود من الناس . فان كتمت ترون انه  
 إذا اذكـت أموالكم مصيبة ، واثر افسـك قتلا ، اسلـتموه ،  
 فـن الان فدعـوه ، فهو والله - ان فـعلم - خـزي الدـنيـا  
 والـآخـرة ، وان كـتمت تـرون انـكم واـفـون لـه بـما دـعـونـوـه  
 اليـه - عـلى ذـكـة الـأـموـال وـقـتـل الـاـشـراف - نـخـذـوه ، فـهـو  
 وـالـله خـبر الدـنيـا والـآخـرة . قالـوا : ظـناـنـا نـأـخـذـه عـلـى مـصـيـبة  
 الـأـموـال وـقـتـل الـاـشـراف . . فـالـنـا بـذـكـه يـارـسـولـالـلهـانـ  
 نـحـن وـفـيـنـا ؟ . . قالـ: الجـنـة . . قالـوا . اـبـسـط يـدـكـ فـبـسـط  
 يـدـه فـبـاـيـعـوه . . ثـمـ قالـ رـسـولـالـلهـ عـلـيـهـالـلـهـ : اـرـفـضـوا إـلـى  
 رـحـالـكـ .

( قال ) : فـرـجـعـنـا إـلـى مـضـاجـعـنـا ، فـنـمـنـا فـيـهـا حـتـى اـصـبـحـنـا

فلمَّا أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا  
فقالوا : يا معاشر الخزرج ، انه قد بلغنا أنكم قد جئتم الى  
صاحبنا هذا ، تستخرجوه من بين أظهرنا ، وتبایعوه على  
حربنا ، وأنه - والله - ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا  
من أن تذهب الحرب بیننا وبينهم منكم .

( قال ) : فاندمعت من هناك من مشركي قومنا بخلفون  
ما كان من هذا شيءٍ وما علمناه .

( قال ) : وصدقوا ، لم يعلموه ، .. وجعل بعضنا  
ينظر الى بعض ، ( ۱ ) .

كانت هذه البيعة الشريفة نقطة تحول في عالم الدعوة  
الإسلامية ، ودفعه اذفلاً في أجواها .. ففقد نبرت بجري  
حياتها حيث فتحت امامها ابواب الانطلاق ، وهبات لها  
ب مجال الترکز والتوصم ، ومهدت في سيرها آفاق الاصناف

---

( ۱ ) دویدار ، من ۲۲۶ ، ۲۲۷ ، ۲۲۸ ، ۲۲۹ .

بعزفها اعماق التغلغل .

كانت هذه البيعة الشريفة بداية صفحات جديدة من تاريخ الدعوة الاسلامية المشرق . ، نقلتها من عالم مكة الخالق الضيق ، ومن مجتمعها الساخر المضطهد ، الى عالم ( يثرب ) المفتح الواسع ، والى مجتمعها الجاد المجاهد .

وبعدها عند نهاية موسم الحج عام ( ٦٢٢ م ) كانت الهجرة ( الحادث الام في حياة الدعوة ) وبدأت بذهاب المسلمين الى المدينة المنورة تباعا ، سراً وعلانية ، فرادى وجماعات ، وكانت قبيل هجرة النبي ﷺ اليها ، اسراعا في التخلص من اضطرهاد قريش وابذائهم ، وتهيئات للاجواء الاسلامية في المدينة ، وتهييداً لتكوين المجتمع الاسلامي فتأسس الدولة الاسلامية .

### وامرة قريش :

وحين علمت قريش أمر البيعة الكبرى ، ورأى هجرة

المسلمين الى المدينة المنورة ، حاولت منم المسلمين من الخروج  
الى المدينة ، متجذدة شتى الوسائل ، ومتبعة مختلف الاساليب  
غير انها فشلت اخيراً في جميع محاولاتها .. فرأى استئصالاً  
للمدعوة أن تأتمر بالنبي ﷺ قائد الدعوة ، فتقضي بذلك  
عليها قضاء جنرالاً .. فاجتمعت في (دار الندوة) ، وجال  
التفكير في ادمعتها بين حبس النبي ﷺ او نفيه أو قتله ،  
وكان القتل هو الرأي الذي وقفت عليه جولة الفكر الفرضي  
والذي تم عليه الاتفاق ، فدبوا مؤامرة القتل ، وهي جعل  
دم النبي ﷺ مشتركاً بين كل القبائل ليضيع هدرأ ، وبروت  
حتى المطالبة به ، فجمعوا من كل قبيلة فني من شيوخها  
وابطأهم ، وجزوهم الى قتل النبي ﷺ في داره ليلاً ..  
وعلم النبي ﷺ بالمؤامرة ، فشيء الاسنوب المشهور ،  
وهو ابن الامام امير المؤمنين ع في فراشه ، وخرج  
هو ﷺ وابو بكر ، واختفيما في (غار ثور) ،

الاسلوب الذى أخفق المؤامرة وخيب قريشاً في مسعها .  
وبعد مخي ثلاثة أيام من اختبائه عليه ربه في الغار المذكور ..  
هاجر الى المدينة المنورة . . .

وتتابع المسلمون يتجمرون فيها ، يشيدون المجتمع  
الاسلامي ، ويؤسسون الدولة الاسلامية على أساس من الحق  
والعدل والكرامة .

## أسس المجتمع الاسلامي

رأيت وأنا اقارب نهاية المطاف في حديثي عن الدعوة  
الاسلامية في فترتها ( من البعثة الى الدولة ) - أن أعرض  
 بشيء من الإيجاز لأهم أسس المجتمع الاسلامي في المدينة  
المقدسة ، التي وضعتها وركبها وذهب بعلى بناء المجتمع عليها  
ـ قائد الدعوة الاعلى الرسول الاعظم عليه ربيه :

١ - ( المسجد ) :

يتمثل هذا النوع من العلاقة - اعني علاقة المسلم بالله تعالى - في ( العبادة ) ، ولعل اهم اسهامها تذوقه الح جانب الروحي عند اسلامه ، تذوقه مركزه ومقتضاه ، تذوقه اشباعه بالعبادة اشباعاً معدلاً ، يتمشى ومتطلبات فطرته الانسانية وباتق ونظرته لعقلية الصافية الاصيلة ، . . .

وربما كان اهم خصائصها : أنها تحد المسلم بالفروق والمناعة والعزّة ، التي أشعره - بدورها - بحرىته تجاه جرم المخلوقين الآخرين ، ذبيحة عبوديته لله الواحد الفهار عز وجل . وقد تكون أهم ميزاتها : هي غايتها بالجانب الاجتماعي

للفرد المسلم ، بالاضافة الى عذابها بالجانب الفردي له ، ونلمس ذلك ظاهراً بوضوح : في تأكيد الاسلام على ايمان الصلاة جماعة ، وعلى تأديتها في المسجد الذي يضم عادة الكثيرين من المسلمين دافع استحباب الصلاة فيه ، ونلمسه استعمال لغة الجماعة في القراءة والدعاة وغيرها .

ولتبذر ايضًا - بجمعها من المسلم رقميًا على نفسه - بسبب مشهوره بقدرة الله تعالى ، وحضوره له سبحانه ، الشعور المتكرر يومياً خمس مرات على الأقل ، مما يعطي للروحية التي تفرسها العبادة في نفسه ، صفة الهدىنة والاشراف على كل سنته واعماله . . فتفرض عليه بشكل طبيعي : ان يتلزم في سلوكه مقاييساً عمليةً حاصلاً ، يختلف كل الاختلاف عن مقاييس السائل الآخر ، وهو (رضي الله تعالى) ، فلا يصدر عن فعل الا بعد أن يعلم أنه يرضي الله تعالى . . اقرأ قوله تعالى : « ان الصلاة تذهب عن الفحشاء والذكر »

وله كر الله اكير والله يعلم ما تصنعون ﴿١﴾  
 وبنتيجة مفعول ذلك التكرار يتحول هذا اللون  
 من السلوك - طبيعياً - الى عادة ، تتصل - بعد ذلك -  
 في كيان المسلم الفردي والاجماعي .

وفي ضوئه ، حيث احتمطنا أن ندرك أهمية المسجد  
 في حياة المعلم ، لستطيم أن ندرك أهمية بدء الذي عليه الله  
 يبنائه المسجد كأساس يشاد عليه كيان المجتمع الاسلامي ،  
 وكم يكتزى ثقلي عنده جميم خطوط الحياة الاجتماعية للمسلمين  
 حيث يحتل مكانة منهم ومنطاق التوجيه الاسلامي بمحنتاف  
 أشكاله وألوانه .

« والمروي ان الرسول ﷺ انى مسجده الجامع  
 حيث بركت زافتة ، في مربد لغلامين يكفلهما أسد بن  
 ذراره ، وكان الغلامان يريان التزول عنه الله فاني الرسول ﷺ

(١) الآية ٤٥ من سورة العنكبوت .

إلا ابقياعه بشمنه .

فأسر عليه السلام بالفعل ففقط ، وبالمغرب فمويت ،  
وصفوا التحفل قبلة المسجد - والقبلة يو، عذ بيت المقدس -  
وجعل طوله ما يلي القبلة الى الاخرة مثلاً ذراع ، والجانبان  
مثل ذلك تقربياً ، وجعلت عضاداته من الحجارة ، وحفر  
الأساس ثلاثة أذرع ، ثم بي بالبن ، واشتراك لرسول عليه السلام  
واصحابه في حمل الماءات والاحجار على كواهلهم .

وكانوا يرددون عن أنفسهم هناء العمل والقل  
والبناء . ( يتردد هذا البيت ) :  
الاهم لا عيش الاعيش الآخرة فاغفر للأنصار والماجره  
وقد ضاعف حس الصحابة في العمل رؤيهم  
النبي ( ص ) يمجده كأحدهم ، ويذكره ان يتميز عليهم ..  
ثار نجز بعضهم هذا البيت :

الآن قعدنا والرسول يأمل لذاك منا العمل المضلل  
وتم المسجد في حدود البساطة : فراشه الرمال  
والحصاء، وسقفه الجريد، وأعمدته الجذوع » (١)

## ٢ - ( المؤاخاة ) :

وكان المشروع الثاني الذي قام به النبي ﷺ بامد  
بناء المسجد ، هو المؤاخاة بين المسلمين .

ونحن متى عرفنا ان ( التنظيم الاجتماعي ) في مجال  
تفعيذه ، وفي مجال إثراه قادماً ومحتملاً ، يفتقر بطبيعته  
إلى عملية ( التعاون الاجتماعي ) و ( التمازن الاجتماعي )  
ذلك أهمية المؤاخاة التي قام بها النبي ﷺ وهو في صدد  
بناء المجتمع الجديد .. ذلك ان التعاون والتمازن لا يتآتى بان  
إلا بين جماعة تشعر بالوحدة بين أفرادها ، ولا أظن أن  
هناك عاملأ أقوى في اعطاء وخلق هذا النوع من الشعور ،

---

( ١ ) الزالي ، ص ١٣٨ ، ١٣٩

كالاخوة ، وربما كان لا يعلم ، انى النبي ﷺ خطواته  
الكبرى في بناء المجتمع الاسلامي بها ، فآخر ﷺ بين  
المهاجرين والانصار « فحمل لكل رجل من المهاجرين  
أخاه من الانصار ، فكان الانصاري يشاطر أخيه المهاجر  
داره وماله ، وهو بذلك طيب النفس فرب العين » (١)  
واختار ﷺ علياً امير المؤمنين ع ليشاطر أخيه .

وكان نذكراً لأخوة تقوم على أساس من الإيمان  
بالله تعالى، وقد حددتها القرآن الكريم بقوله تعالى «إنما  
المؤمنون أخوة» (٢)، وفسر محتواها الرسول الاعظيم ﷺ  
بقوله : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان  
في حاجة أخيه كان الله في حاجته . . فهـ لا تعرف بأي  
عنصر آخر غير الإيمان بالله تعالى إنما حالصـ ، من مختلف

( ۱ ) دو یادار، ص ۲۶۲

(٢) الآية ١٠ من سورة الحجرات

عنصراً الروابط الاجتماعية ، أمثال : الاقليمية والوطنية  
والقومية وما شاكلها .

ويصور لنا القرآن الكريم فتاج ناركم الاخوة بين  
المهاجرين والأنصار بقوله تعالى : « والذين تبؤوا الدار  
والإيام من قبمام يحبون من هاجر بهم ، ولا يجدون في  
صدرهم حاجة مما أوتوا ، ويؤذون على أنفسهم ولو كان  
بهم خصاصة ، ومن يوق شعب نفسه فأولئك هم المفلحون » (١)  
غير أنها كيف اذا بت ناركم الاخوة نوازع الانسان الفردية  
وأنانيةها ، هندأيتها بمحنة ات كان من أهم خصائصها الفردية  
والأنانية والجمود ، اذايتها في وحدة الجماعة .. ويرينا  
كيف قلبت نظرة ذلك الانسان الى انه فرد ، قلبتها الى انه  
جماعة . وعلى أساس من هذه الاخوة انطلاق النبي ﷺ  
يتصوّغ بمحنة المجددة ، تحطيطاً وتوجيهماً ونفعهما ..

---

(١) الآية ٩ من سورة الحشر

ونلمس ذلك لديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أول خطبة خطبها في مسجده  
الشرف قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه  
بما هو أهل له - :

«اما بعد: - ايها الناس: فقدمو الانفسكم ، تعلمون والله  
ليصلعن احدكم ، نم ليدعن غمه ليس لها راع ، نم ليقولان  
له ربه وليس له ترجان ولا حاجب بمحبه دونه :  
لم يأنك رسولي فبلغك ، وآتاك مالا وافضلت عليك ؟ فما  
قدمت انفسك ؟ فلابدظنن بعیناً وشمالاً ولا برع شيدناً ، نم  
لينظرن فدامه ولا يرى غير جهنم ، فمن استطاع ان يقى  
وجهه من النار ولو بشق من ثغرة ، فليفعل ، ومن لم يجد  
فيكلمة طيبة ، فان بها نجزي الحسنة عشر أمناهمها ، الى  
سبعين مئة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

والذي يبدو بوضوح في هذه الخطبة الشريفة  
تأكيد الذي عليه ( التكافل الاجتماعي ) وبخاصة في  
جانب الاقتصادي دون سواه ، مما يشير القناؤ . إلا أنها

متى عرفنا ان طبيعة الوضع الاقتصادي لمجتمع المدنية  
 آنذاك - حيث كان ضعيفاً في ثروته الاقتصادية .. الأمر  
 الذي يقف مانعاً من تغيير المجتمع الى الشكل الأفضل -  
 تفرض نكارة قوى أفراده الاقتصادية ليكون بينهم التعاون  
 والتسامح ، فبمَ على أيديهم قيام التنظيم الاجتماعي ، وهو  
 شيء يتطلب - عادة - الدفع القوي اليه.. ففهم تأكيداته عليه  
 بصورة خاصة على التكامل الاجتماعي وفي جذبه الاقتصادي .  
 وفي خطبته الثانية تلمس تأكيداته على التسامح  
 بالاسلام والازمام بتطبيقه والاخوة في الله تعالى .. كمن  
 حمل عام يقول عليهما السلام :

« ان الحمد لله ، احمده وأستعينه ، انما ذكر الله من  
 شرور أنفسنا ، وسبئيات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مصل له ،  
 ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده  
 لا شريك له ، ان احسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى  
 قد ألمع من زينه الله في قوله ، وأدخله في الاسلام بعد

الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، انه أحسن  
ال الحديث وأبلغه ، أحبوا ما أحب الله ، أحبوا الله من كل  
قلوبكم ، ولا نعلوا كلام الله وذكره ، ولا نفس عنه فلوبكم ،  
فانه من كل ما يخلق الله يختار واصطفى ، فقد سماه الله خيراته  
من الاعمال ، ومصطفاه من العباد ، والصالح من الحديث ،  
ومن كل ما أدنى الناس : الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا  
تشركوا به شيئاً ، وانفوه حق تفانيه ، واصدقوه الله صالح  
ما تقولون باذوا هم ، ونحوها بروح الله بينكم ، ان الله  
يغضب ان ينكث عهده ، والسلام عليكم .

ان الاخوة الاسلامية تحيطى - في واقعها - على  
تعذر علاقة المعلم بالمعلم ، العلاقة الاجتماعية التي هي  
عماد المجتمع .

وفي عقيدةني : انها كانت في واقعها لتاريخي ( وليس  
في واقعها المعاصر ) افضل وأروع العلاقات الاجتماعية

التي عرفها تاريخ البشرية .. و محمد القاري، الكريم الامنة الرائعة على ألوان وألوان من ظواهرها الاجتماعية ، أمثال الحب ، والمساواة ، والابرار وغيرها ، متفرقة في جميع كتب التاريخ والسيرة النبوية المقدسة .

### ٣ - ( موادعة المسلمين ليهود المدينة ) :

والمشروع الثالث الذي قام به النبي ﷺ هو موادعة المسلمين ليهود المدينة تمهيماً مع الاحكام الشرعية ومتطلبات الظروف الاجتماعية الصياسية (وذلك)، ويتضمنها كتابه التالي:

« قال ابن اسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهم ، وأفرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم وانشرط عليهم :  
بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي ﷺ ، بين المؤمنين والمؤمنين من فريش وبئرب ، ومن تبعهم ، فلعلهم ، وجاهد معهم .

انهم امة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من  
 قريش على ربعتهم (١) يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون  
 عازبهم (٢) بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على  
 رباعتهم ، يتعاقلون معاقلهم (٣) الاولى ، كل طائفة تهدي  
 عائزها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو ساعدة على رباعتهم  
 يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تهدي عائزها  
 بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على رباعتهم  
 يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تهدي عائزها بالمعروف  
 والقسط بين المؤمنين ، وبنو جشم على رباعتهم يتعاقلون  
 معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تهدي عائزها بالمعروف  
 والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجاشي على رباعتهم يتعاقلون

(١) الرابعة : الحال التي جاء الاسلام وهم عليها .

(٢) العاشر : الاسير .

(٣) المعامل · الديات .

معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تقدى عاينهم بالمعروف والفسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف ، على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تقدى عاينها بالمعروف والفسط بين المؤمنين ، وبنو النبيت على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تقدى عاينها بالامروف والفسط بين المؤمنين ، وبنو الاوس على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تقدى عاينها بالمعروف والفسط بين المؤمنين . وان المؤمنين لا يتركون مفرحاً (١) بذنهم أن يعطوه بالمعروف في فداء او عقل ، وان لا يمحالف مؤمن موله مؤمن دونه ، وان المؤمنين المتقيين على من بغى منهم ، او ابتغى دسيمة (٢) ظلم ، او إثم ، او عداوان ، او فحاد بين المؤمنين ، وان ايديهم عليه جيماً ، ولو كان

(١) المفرح : المثقل بالديون والكثير العيال .

(٢) الدسيمة : المظيمة .

ولد احد هم ، ولا يقتل مؤمن موثقاً في كافر ، ولا ينحر  
 كافراً على مؤمن ، وان ذمة الله واحدة ، بمحير عليهم أدنامهم ،  
 وان المؤمنين بهضمهم موالى بعض دون الناس ، وانه من  
 تبعنا من يهود ، فان له الفخر والاسوة ، غير مظلومين ولا  
 متذمرين عليهم ، وان سلم المؤمنين واحدة ، لا يلزم مؤمن  
 دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل  
 بينهم ، وان كل غازية خرت معها يعقب بعضاً ، وان  
 المؤمنين بي . بعضاً على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ،  
 وان المؤمنين المنقين على احسن هندي وأفرومه ، وانه لا بمحير  
 مشرك مالا افترى ولا نهأ ، ولا يحول دواؤه على مؤمن ،  
 وانه من اعتبط (١) مؤمناً قتلاً عن بيته ، فانه قود به  
 إلا ان يرضي ولد المقتول ، وان المؤمنين عليه كافية ، ولا  
 يحمل لهم الاقيام عليه ، وانه لا يحمل لمؤمن أفراد ما في هذه

(١) اعتبطه : قتله بلا جنابة منه توjob قتله .

الصحيفة ، وآمن باقه واليوم الآخر ، ان ينصر مخدنا ولا  
يؤديه ، وانه من نصره او آواه ، فان عليه لعنة الله  
وغضبه يوم القيمة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وانكم  
مما اختلفتم فيه من شيء ، فان مرده الى الله عز وجل ،  
والى محمد ﷺ .

وان اليهود ينفقون مما المؤمنين ما داموا محاربين ،  
وان اليهود بنى عوف أمة من المؤمنين ، لليهود دينهم ،  
وللمسلمين دينهم ، موالיהם وأنفسهم ، إلا من ظلم دائم ،  
فانه لا يوتفع (١) إلا نفسه ، وأهل بيته ، وان لليهود بنى  
النجر مثل ما لليهود بنى عوف ، وان لليهود بنى الحارت  
مثل ما لليهود بنى عوف ، وان لليهود بنى ساعدة مثل  
ما لليهود بنى عوف ، وان لليهود بنى جشم مثل ما لليهود بنى

---

(١) يوتفع : يهلك .

عوف ، وان اليهود بني الاوصى مثل ما ليهود بني عوف  
 وان ليهود بني نعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من  
 ظلم وأثم ، فانه لا يوتفع إلا نفسه وأهل بيته ، وان حفنة  
 بطون من شعلة كأنهم ، وان لبني الشطيبة مثل ما اليهود  
 بني عوف ، وان البر دون الاثم ، وان موالي نعلبة  
 كأنهم ، وان بطانة (١) يهود كأنهم ، وانه لا يخرج  
 منهم أحد إلا بأذن نجد ، وانه لا يتعجز على نار جرح ، وانه  
 من فتك فبنفسه فتك ، وأهل بيته ، إلا من ظلم ، وان الله  
 على ابر هذا (٢) ، وان على اليهود نفقةهم ، وعلى المسلمين  
 نفقةهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة  
 وان بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الاثم ، وانه لم  
 يأتكم امرؤ بخليفة ، وان النصر للظالمون ، وان اليهود ينفقون

(١) بطانة الرجل : خاصة وأهل بيته .

(٢) على ابر هذا : أي على الرضا به .

(١) أَيُّ اَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ الْوَهْدَانِ عَلَى الرَّضَاٰ،

على نفسه ، وان الله على اصدق ما في هذه الصحيفة وأبره  
 وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم . وانه من خرج  
 آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم او اثم ، وان الله  
 جار لمن بر وافقى ، ومحمد رسول الله ﷺ (١) .  
 وهكذا على ضوء أمثال هذه المخططات ، قام  
 المسلمون باشادة المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة .. ومنه  
 انبعثت الدولة الإسلامية .

\* \* \*

وفي الختام : وداعاً - قاري العزيز - ولعلني اعود  
 اليك مرة ثانية حول الوضوء ذاته ، اهربتكم بشكل اوسع  
 واوضح ، واما كل ما تفاصيل حول الدولة الاسلامية .. والسلام  
 عليك ورحمة الله وبركاته . والحمد لله رب العالمين .

عبدالهادي الفضلي

النجف الاشرف

(١) ابن هشام ، الميراث النبوية ، (القاهرة : شركة  
 مكتبة ومطبعة صنافى البانى الحبائى واولاده بعمر ١٣٧٥ )  
 الطبعة الثانية ، القسم الاول من

لَمْ تُصوِّرِ الْكِتَابُ الْكَتْرُونِيًّا مِنْ قَبْلِ

كادر موقع الصراط نهج السعادة والتقدم

ولتحميم وقراءة كتب أخرى زورونا على

الرابط الآتي

[www.al-serat.com](http://www.al-serat.com)